كتاب الأنصار
لمواجهة الحرب الصليبية

دراسة موضوعية متكاملة تصدر كل اربعة اشهر عن مجلة الأنصار 3

العدد الثالث / ربيع الثاني 1424 هـ / يونيو - 2003 م

العراق
من الاحتلال إلى التحرير
واقع الأزمة وآفاق الحل

بسم الله الرحمن الرحيم

البريد الإلكتروني : alansar@alansar.info

فهرس

5.....

مقدمة.....5

الاحتلال والتحرير.....7

قراءة في المفاهيم.....7

أولاً لماذا وقع الاحتلال الأجنبي للعراق؟ 9

1 – الارتهان بالأداء الرسمي. (الإعاقة الذاتية).....*9*

2 – إشكالية التداخل بين احتلالين (ارتباك الموقف).....*11*

3 – تواطؤ الأنظمة الطاغوتية (العدو القريب).....*12*

ثانياً: مسألة الاحتلال، وقفة مع المفهوم.....13

1 – الاحتلال الأجنبي: الصورة الواضحة.....*14*

2 – الاحتلال بالوكالة: اللعبة القديمة.....*15*

3 – الحكومة الكافرة: الاحتلال الداخلي.....*16*

ثالثاً: معالم على طريق التحرير.....18

1 – خيار الجهاد واستراتيجية التحرر.....*18*

2 – المقاومة السلمية تحت المحك.....*20*

3 – بين الاستراتيجية والحسابات السياسية.....*21*

ماذا بعد احتلال العراق.....23

أولا: معطيات الوضع الجديد.....23

1- على الصعيد الاستراتيجي.....*23*

أ - المنطقة العربية الإسلامية.....23

ب - المناطق الأخرى.....25

2 - على الصعيد السياسي.....*26*

3 - على الصعيد الاقتصادي.....*28*

أ - الأزمة الاقتصادية الخانقة التي تعاني منها أمريكا:.....28

ب - ميزانية الحرب لا تتكلم عن إعادة الإعمار:.....29

ج - أمريكا هي التي تنوي الانتفاع من العراق وليس العكس:.....29

ثانيا : خطوط عريضة لمواجهة الوضع الجديد.....30

أ - داخل العراق.....*31*

على المستوى السياسي.....31

على المستوى العسكري.....33

ب - في العالم الإسلامي.....*35*

خاتمة.....37

الاحتلال الأمريكي.....39

ومهام المرحلة.....39

أولا - الاحتلال الصليبي/الأمريكي: المبررات والأهداف المعلنة.....39

أ - المبررات:.....*39*

ب - الأهداف المعلنة:.....*40*

ثانيا- واقع الأنظمة الرسمية:الرهان الخاسر.....41
أ - الامتناع ثم الانبطاح: النموذج العراقي.....41
ب - قصة الثيران الثلاثة وسياسة الحياد/الخيانة: النموذج السوري.....42
ج - الوسيط الصهيوصليبي: النموذج المصري.....43
د- مفتي العدو الصهيوصليبي: النموذج السعودي.....44
هـ - الملحقة الصهيوصليبية: النموذج القطري.....45
ثالثا - الحركة الإسلامية والفرصة الجديدة:.....46
رابعا - معوقات انطلاق المسيرة الجهادية التحريرية المباركة:.....47
أ - الطفولة المستديمة:.....47
ب - القبليات السياسية:.....49
ج - السلبية القاتلة:.....50
خامسا - مهام المرحلة: إقامة جبهة إسلامية عريضة.....51
سادسا - الخاتمة:.....53
الحرب الصليبية على العراق.....55
1 - تمهيد.....55
2 - لماذا العراق بالذات وفي هذا الوقت بالتحديد ؟.....56
3 - احتلال أفغانستان واحتلال العراق: قياس مع الفارق.....56
4 - هل هي حرب على البترول فقط ؟.....57
5 - معالم وأبعاد هذه الحرب.....57
6 - دور الأمة اتجاه هذا الاحتلال.....57
تحسيس الأمة بخطورة هذا الاحتلال على مستقبلها القريب والبعيد.....58
إحياء روحية العمل الجماعي وروح الجهاد.....59
السعي إلى التعاون وتنسيق الجهود الجهادية.....61
الاستفادة من التجربة الأفغانية.....63
- اعتماد اللامركزية.....64
- إطالة أمد الحرب.....64
- اعتماد حرب العصابات كاستراتيجية للمقاومة.....65
- الاجتهاد في تأمين العمل.....65
- توسيع دائرة الحرب وتنويع الضربات.....66

[illegible]

[illegible]

سيف الدين الأنصاري

كما كان منتظرا، في النهاية وقعت الحرب على العراق، وقعت ولم ينفع في تفاديها أو إيقافها لا القيم الديموقراطية ولا حتى القرارات الدولية، والسبب - ببساطة - هو أن دولة قوية مثل أمريكا صممت على ذلك، وعندما تصمم الدول القوية على فعل شيء من منطلق رؤيتها ومصالحها الذاتية فإن الوثيقة الخفية التي تضبط دور المؤسسات الدولية والقيم الديموقراطية تدعو إلى التبرير والمساعدة، أو على الأقل البقاء بعيدا عن دائرة المعارضة المؤثرة، فهذه القيم والمؤسسات ما هي - في حقيقة الأمر - إلاّ أدوات وآليات تستعين بها الأنظمة الطاغوتية على "شرعنة" مواقفها الاستعمارية، وتوظفها لتسهيل عملية الاستحواذ على مقدرات الشعوب وخيرات بلدانها.

ولن تعدم الأنظمة الطاغوتية شعارا جميلا أو عنوانا براقا تموّه به عن أهدافها الخبيثة، وتروج به لمشاريعها الاستعمارية، فتلك مهمة باتت سهلة في عالمنا المعاصر، إذ يكفي أن تُسخر الأداة الإعلامية في هذا الاتجاه، ليجد الناس أنفسهم أمام وابل من قذائف الصوت والصورة التي تعمل بكل قوة على اختراق بنائهم الفكري والنفسي، في محاولة لتوهين الحصن من الداخل، حتى إذا تم ذلك واحتُل الإنسان سهل بعده على القوات الغازية احتلال الأرض.

في الإعلام تسمى الحملة الصليبية على العراق تحريراً، ويسمى الاحتلال إعادةَ إعمار، ويسمى الجهاد إرهاباً، ويسمى الارتباط بالإسلام تطرفا... إلى آخر تلك العملية التضليلية التي يراد منها ضرب البنية الفكرية للمسلمين، عن طريق التأثير في اللبنات المؤسسة للتصور (المفاهيم)، إما بالطعن فيها وتشويه صورتها، وإما بتحريف دلالاتها وصرفها عن المعنى الأصيل إلى المعنى الدخيل، حتى إذا تكررت العملية بأساليب متنوعة ومن جهات متعددة، أدت في النهاية إلى ما يشبه غسيل الدماغ للشخصية الإسلامية، فتصبح كأنها هيكل فارغ من

المضمون، أي بلا هوية، وعندها لا غرابة من وجود القابلية للاحتلال لأن الفراغ لابد أن يملأ.

إن احتلال العراق بما يحمل من الدلالات المأساوية على حاضر الأمة الإسلامية ومستقبلها يجب أن يشكل الحدثَ الذي يهز المخزون الفكري للمسلمين، لتسقط بفعل هذا الهز الآراء الدخيلة على منظومتنا الفكرية، فنحن الآن في أمس الحاجة إلى تنقية المفاهيم التي تشكل وعينا الإسلامي، لتخلص من الشوائب التي علِقت بها بفعل تراكمات الغزو الفكري وإفرازات نفسية الوهن، فالكدر المفاهيمي لا يُنتج إلاّ الضبابية في الرؤية والحيرة في التوصيف والارتباك في المواقف، وكلها عوائق ذاتية تحتاج منا إلى إيثارها عند توزيع حصص المعالجة، لأن العوائق الذاتية هي أساس المشكلة في صراعنا مع الأعداء، قال تعالى: {أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ}[آل عمران:165].

من هنا لم أشأ أن أتوسع في فلسفة النوايا الأمريكية ولا أن أتتبع الشعارات التي ترفعها في حملتها الصليبية على أمتنا الإسلامية، أولاً لأنني أعتقد أن حقيقة هذه النوايا والشعارات قد أصبحت مكشوفة للجميع، وثانياً لأن الاستغراق في هذه العملية ربما يتيح للبعض مادة "للهو الثقافي"، ينشغل بها عن مباشرة استحقاقات المرحلة وما تفرضه علينا من البحث الجاد عن كيفية الانتقال من الواقع (الاحتلال) إلى الأمل (التحرر)، بعيدا عن أجواء الترف الفكري الذي يستنزف الطاقة في مجرد عملية التنقيب عن دوافع الفعل عند الآخر، وكأن "اكتشاف" هذه الدوافع هو غاية المقاصد ومنتهى الآمال.

لقد عجّت وسائل الإعلام طيلة الفترة الماضية بالتحليلات التي تبين طبيعة الدوافع ونوعية الأهداف المحركة للعدو، والمتحكمة في مواقفه اتجاه القضايا الإسلامية عامة، وقضية المنطقة العربية على وجه الخصوص، ولكن لأنها لم تكن تحمل في داخلها عوامل التحريك نحو العمل المطلوب، إذ كانت تحليلات باردة تفتقر إلى حرارة التفاعل الشعوري مع الموضوع، وجوفاء لا تحمل روح المسؤولية اتجاه القضية المتناوَلة، فإنها لم تخرج عن دائرة الرصد السلبي للحدث، حيث غرقت في بحر النوايا الأمريكية وتاهت في صحراء معاييرها المزدوجة، ولذلك سرعان ما أصبحت تلك التحليلات المتقاطرة من هنا وهناك أداة لإضاعة الوقت في سوق الظنون المتضاربة، أو ربما مادة للإرباك الفكري الذي يُفقد المرء القدرة على اتخاذ المواقف الحازمة والقرارات الشجاعة.

باختصار، نحن اليوم في أمس الحاجة إلى قراءةِ قضايانا الأساسية - ومنها قضية الاحتلال والتحرير - من خلال تفكير إسلامي عملي يرتفع

عن الانحسار في دائرة الأجواء النظرية، بحيث يجعل من رصد الأحـداث مقدمة لتحديد الموقف المطلـوب اتجاههـا، إذ ليـس الهـدف هـو تقـديم تقرير إخباري عن الواقع، وإنما الهدف تغييرُ هذا الواقع المعيش بـالواقع الأمل، ومن ثم كان لزاما على الفكر - وهو أداة التوجيه - أن يؤدي دوره في صناعة الفعل، وإلاّ فإنه يفقـد الصـدق فـي المعالجـة. وأن يسـتعين على إتقان هذا الدور باستجماع مواصفات التفكيـر السُـنَني، لأن ارتفـاع سقف الأهداف يستدعي الرفع من نوعية الأداء. وهـذا مـا نـود الوصـول إليه من خلال المحاور الثلاثة للمقال.

أولاً: لماذا وقع الاحتلال الأجنبي للعراق؟

أطرح هذا السؤال الآن لأنني أعتقد أن الجواب الصحيح عنه يَدخل في بنية التصور المؤسس للوعي بالحالة، وهو أمر يحمل على الأقل فائدتين اثنتين، أولاهما أخذ العبرة الصحيحة من الحدث والاسـتفادة الجيـدة مـن الماضي، خصوصـا إذا علمنـا أن البعـض قـد يلاحـظ فـي وقـوع الاحتلال الأسـباب الثانويـة دون الأساسـية فيخـرج مـن دراسـة التجربـة بالنتيجـة الخطأ، مما يؤدي إلى تعقيد الأزمة وتكثيف عناصـرها، لأن الأفكـار الـتي سيطرحها للحل ستبتعد – بنسبة أو بأخرى – عن خط المعالجة الحقيقـة للمشكلة، وربما تدخلنا فـي متاهـات جديـدة تسـتنزف طاقـة أمتنـا كمـا اسـتنزفتها تجربـة العقـود السـبعة مـن الجـري وراء سـراب اللعبـة الديموقراطيـة. وثانيهمـا تحديـد طبيعـة المهـام المسـتقبلية، العاجلـة والآجلة، سـواء علـى مسـتوى معالجـة القصـور الـذاتي لتفـادي عوامـل الضعف القائمـة، أو علـى مسـتوى الإسـهام فـي حـل الأزمـة بـإجراءات عملية وجادة تحمل طابع الإحساس بالمسؤولية التاريخية أمـام الحـدث. وهكذا يكون السؤال المطروح قد سـاهم بحـظ وافـر فـي رسـم ملامـح عامة لطريق الخروج من الأزمة.

المهم، مهما قيل حول العوامـل الكامنـة وراء وقـوع الاحتلال الأجنـبي للعراق، فإنه لا ينبغي نهائيـا أن نخـتزل أسـباب هـذا الحـدث الكـبير فـي خيانة بعض قادة النظام البعـثي، ولا فـي قـوة الآلـة العسـكرية للقـوات الغازية.. نعم هذه عوامل موجودة لا يمكن إنكارها، لكنها ليسـت وحـدها التي كانت مؤثرة في تحقق النتيجـة (الاحتلال). فقـد كـان وراء الهزيمـة تراكم أسباب كثيرة أخذت أشكالا متعددة، أريد أن أركز منها على ما لـه علاقة بالمعطيات الداخلية، والتي أرى أن أهمها أمور ثلاثة:

1 – الارتهان بالأداء الرسمي. (الإعاقة الذاتية)

باستثناء خط الطائفة المنصورة (خط الـدعوة والجهـاد) يمكـن القـول إن الأمة الإسلامية، وفي مقدمتها الكثير مـن فصـائل الحركـة الإسـلامية كانت مرتهنة - وإلى حد بعيد - في التعاطي مع الحدث بـالأداء الرسـمي للأنظمة الحاكمة في بلدانها.

فالبعض فضل التعامل مع الأزمة مـن خلال دعـوة الأنظمـة إلـى إعلان الجهاد، حيث طالب الحكومات بالوقوف أمام العـدو سياسـيا وعسـكرياً، وتبني موقف الدفاع عن بلاد إسلامية ضد الغزو الأجنبي. وطبعا كان هـذا الطلب نوعا من أحلام اليقظة، وسذاجة "زائدة عن اللزوم"، لأن قـراءة بسيطة لواقع هذه الأنظمة تبين استحالة تحقـق مثـل هـذه المطـالب، لا لغياب الجيوش ولكـن لأنهـا مـدخرة لمواجهـة العـدو الحقيقـي للأنظمـة والمتمثل في الشعوب المسلمة وطلائعها المجاهدة.

وحتى من حاول الاستفادة مـن مسـاحة الحريـة المتاحـة للتعـبير عـن رفض العدوان بالاحتجاجات السلمية كان هو الآخر منخفـض السـقف، إذ بقي أداء هذه الاحتجاجات محدودا بالإطار الذي تسمح بها الحكومة، مما أوحى للعدو أنها تحت السيطرة، وأنها لا تعـدو أن تكـون ظـاهرة صـوتية آنية، قابلة لأن تخبو عنـد أول ممارسـة ضـاغطة، وهـذا مـا أفقـد الفعـل الاحتجـاجي فعـاليته، وحـوله إلـى مجـرد أداة للتنفيـس عـن الشـعب المحتقن، عوض أن يكون أداة لتحريكه في اتجاه سـقف مفتـوح الأفـق، يمكن أن يتطور إلى انتفاضة شعبية تقلب حسابات الأنظمة الخائنة.

ويدخل في إطار حالة الارتهان كذلك تلك الدعاوى الـتي اجتهـدت فـي المطالبة بفتح باب الجهاد، والتي نشطت بفعل حملة الفتـاوى الرسـمية القائلة بوجـوب الجهـاد للـدفاع عـن العـراق، فعـوض أن يتحـرك النـاس للجهـاد ويسـتغلوا الـوقت لـترتيب الإجـراءات اللازمـة لـذلك، اسـتنزفوا طاقتهم في مجرد مطالبة الأنظمة بفتح باب الجهـاد، وكـأن مفتـاح بـاب الجهاد في جيب الحاكم العميل.

وثمّة فريق آخر نهج نهجًا غاية في الغرابة، حيث تعاطى مع الحدث من خلال قراءة موغلة في استدعاء الأفكار الصوفية، والتي وصلت إلـى حـد الدعوة إلى تعطيل مبدأ الأخذ بالأسباب ومدافعـة الباطـل، فـي محاولـة لتخدير الوعي بحالة الأزمة، لعل ذلك يساعد على ضبط الوضـع الأمنـي، ويحافظ على نعمة الاستقرار في البلاد، فقـد سمعنا خطيـب المسـجد الحرام في مكة يقول فـي معـرض تنـاوله للحـدث: "إن الابتلاء كالـدواء النافع يسوقه إلى المريض طبيب رحيـم ناصـح، وحـق المريـض العاقـل

الصبر على تجرع علقمه من دون شكوى حتى لا يتحول نفعه ضررًا"، ثم دعانا إلى تحسين الظن بـ"ولي الأمر" عندما يبتلينا بقرار التواطـؤ علـى احتلال العراق، أو بقـرار الحملـة الإرهابيـة علـى المجاهـدين وأنصـارهم والمتعاطفين معهم.

المهم، هكذا وجدنا أنفسنا في الأخير أمام ممارسات خجولة، محكومة في أكثر الأحيان بالإرث الفلسفي والشعوري لمذهب الجبرية السياسية، مما جعلها لا تحمل من الـدلالات الجهاديـة إلاّ نسـبة متواضـعة جـدا، لـم ترتق إلى مستوى التحديات التي فرضـها الغـزو الصـليبي، والـتي كـانت تستدعي مواقف متقدمة جـدا بـل ومطبوعـة بطـابع التحـرر والانطلاقـة البعيدة.

2 – إشـكالية التـداخل بيـن احتلاليـن (ارتبـاك الموقف)

هل الجهاد واجب وجوبًا عينيًّا لرد الغزاة حتى ولو كان النظـام الحـاكم هو نظام البعث؟

هذا هو السؤال الذي اختلف النـاس إلـى فريقيـن فـي تقـدير الجـواب عليه، تبعا لاختلاف زاوية الرؤية التي أبصر منهـا كـل فريـق واقـع الحـال وإمكانات المآل.

النظام البعثي كما هـو معـروف لـه سـوابق خطيـرة فـي التعامـل مـع الشعب العراقي، شأنه شـأن بـاقي الأنظمـة العربيـة، لكـن بنسـبة مـن الظلم أكبر، فهو بعبارة أدق سحق الإنسان العراقي حتى لم يعـد يحـس أنـه حـر فـي بلـده العـراق، فقـد كـان الوضـع كـأنه الاحتلال بالنسـبة للعراقيين. الأمر الذي أضعف عند كثير منهم الرغبة في التصدي لقـوات الغزو، لأن المهم بالنسبة إليهم هو التخلص من النظام القائم، حـتى ولـو كان المخلص هو العدو الأجنبي الذي سيغزو البلاد.

لقد تولد عن هذا التداخل ارتباك في الموقف الشعبي، أفقد المقاومـة العراقية الكثير من نسبة الصلابة فـي الجبهـة الداخليـة، وجعلهـا تضـعف كلما اقتربت من مركز الثقل في النظـام السـابق، حـتى إذا وصـلنا إلـى بغداد لم نجد لدى الناس دافعا للمقاومة لأنهم كانوا يشعرون أن الدفاع عن بغداد معناه بقاء شخص صدّام والحلقة الطبقية المحيطة به.

كما أن حالة التداخل بين الاحتلال القائم والاحتلال القادم فتحت الباب أمام ارتفاع دعوات التواني والقعود التي كانت تمرر تحت عنوان الحكمة في تقدير الموقف، مما كان له تأثير سلبي على مستوى مشاركة الأمة الإسلامية في التصدي للعدو الصليبي، ولم تسلم من فخاخ التثبيط إلاّ أبناء الخط الجهادي الذين كان الأمر بالنسبة إليهم محسوما من الناحية المبدئية.. يجب الجهاد للدفاع عن بلاد الإسلام وعن الشعب المسلم ولوقف الزحف الصليبي، ولا يهم في سبيل تحقيق هذا الهدف النبيل أن تتقاطع مصالح النظام البعثي مع أهداف المجاهدين، بل ما يدريك لعلهم بعد أن يرتبوا صفوفهم في الداخل يجدون الفرصة لدحر كل أنواع الاحتلال. ومهما كانت النتيجة فهؤلاء الآن هم شرارة المقاومة في العراق.. المقاومة التي تبين للعراقيين أنهم في حاجة إليها لتحرير بلدهم من المحتل الجديد.

3 – تواطؤ الأنظمة الطاغوتية (العدو القريب)

ما كان باستطاعة الحملة الأنجلو- أمريكية" أن تحقق أهدافها في العراق لولا الدعم الذي قدمته الأنظمة الحاكمة في بلاد المسلمين، وعلى رأسها النظام الكويتي والقطري والسعودي والمصري والأردني، فهذه الأنظمة وأخواتها هي التي وفرت الغطاء السياسي للعدوان على العراق، من خلال المواقف الرسمية التي كانت متواطئة إلى أبعد الحدود، إما تصريحا وإما تلويحا، الأمر الذي فتح شهية القوات الغازية، وشجعها على إبرام قرار الحرب، رغم أنها كانت مفتقدة في موقفها لغطاء الشرعية الدولية.

"أما من الناحية العسكرية فلا يمكن للعدو أبداً أن يقرر أن يخوض حرباً على هذا العمق دون أن يوجد قواعد له تسهل هذه المهمة، ولو لم يجد العدو هذه القواعد لما خاض الحرب، فلو سأل سائل هل يمكن أن يدخل العدو إلى بلد من بلدان المسلمين بالإنزال الجوي ثم يخوض حرباً ينتصر فيها؟ لقلنا بأن هذا مستحيل عسكرياً، إلا أن يتمركز بقواعد قوية على حدود هذه الدولة ليخوض الحرب، ولو عدمت هذه القواعد هل يمكن للعدو أن يخوض الحرب؟ لقلنا بأنه لن يستطيع أن يخوض حرب سيطرة، نعم يستطيع خوض حرب جوية وضربات بالصواريخ، أو هجمات

خاطفة، ولكن لا يمكن أن يخوض حرب سيطرة حتى يجد مـن الأراضـي المجاورة ما يمكنه من خوض هذه الحرب" [1].

وهذا ما وفرته حكومات الكويت والسـعودية وقطـر ومصـر، فقـد أدت كل واحدة دورها بإخلاص، الكويت حـولت ثلـثي البلاد لمنطقـة عسـكرية أمريكية، والسعودية ساهمت بقواعد الـدعم، وفـي قطـر مقـر القيـادة، ومن مياه قناة السـويس بمصـر تمـر البـوارج البحريـة.. إلـى آخـر تلـك المهزلة/ التسهيلات الـتي كـانت مكشـوفة للجميـع، والـتي تعـد العامـل الأقوى في وقوع مأساة احتلال العراق.

إذن في حقيقة الأمر نحن (الأمة) الـذين تسـببنا فـي الاحتلال الأجنـبي للعراق.. نعـم نحـن الـذين فعلنـا، لأننـا نحـن الـذين تعاملنـا مـع الحـدث بمذهب الجبرية السياسية فبقي أداؤنا اتجـاه القضـية مرتهنـا بـالمواقف الهزيلة لدولنا المتواطئة مع العدو، نحـن الـذين فعلنـا، لأننـا نحـن الـذين تركنا هذه الأنظمة تحكمنا ونحن نرى بوضوح أنها تؤدي دور العميل الذي يسهل للعدو الأجنبي الاحتلال المباشر لبلاد المسلمين.. إذن نحن (الأمـة الإسلامية جميعا) السبب الأول في احتلال العراق.

ثانياً: مسألة الاحتلال، وقفة مع المفهوم.

يشكّل التصور القاعدة الأساسية التي يتكئ عليها الإنسان في "إنتـاج" السـلوك، فهـو الأداة الأكـثر تحكمـا فـي صـناعة المواقـف الواعيـة والتصرفات المقصودة، وهذا يعني أنـه كلمـا كـان التصـور صـحيحا كـان السـلوك إلـى الصـواب والاسـتقامة أقـرب، وطبعـا العكـس بـالعكس. ومادامت قاعدة التصور تتشكل أولاً من مجموعة المفاهيم الكبرى التي يحملها الإنسـان فـي فكـره، فـإن الأمـر يرجـع فـي النهايـة إلـى مسـألة المفاهيم ومدى استقامتها أو انحرافها.

ومـن المؤسـف طبعـا أن نقـرر أن أمتنـا الإسـلامية قـد أصـابها بفعـل ضربات الغزو الفكري المتواصل لمدة طويلة من الزمن خللٌ مفـاهيمي كبير، لا يقل خطره عن الانحراف السلوكي الذي لـم يعـد هـو الانحـراف الوحيد في أمتنا الإسلامية اليوم، ولا هـو الانحـراف الأخطـر فـي حياتهـا، "ولو كان الأمر مقصورا على الانحـراف السـلوكي وحـده لكـان الأمـر –

[1] - مركز الدراسات الإسلامية: الحرب الصليبية على العراق.

على سوئه – أهون بكثير مما عليه الآن. فقد تجاوز ذلك الانحراف حـدود السلوك ليصل إلى الانحراف في المفاهيم"[2].

مفهوم الإيمان، ومفهـوم الكفـر، ومفهـوم الجهـاد، ومفهـوم الإرهـاب، مفهوم الاحتلال، ومفهوم التحرير.. وغيرهـا ممـا هـو متـداول اليـوم فـي المشهد الثقافي، والتي تطرح قضايا أساسية وحساسة تدخل بشــكل أو بآخر في تكوين التصور المؤطر لقضية الصراع، كلها قد وقعـت فـي فـخ الانحراف بفعل تأثير الغزو الفكري الخفي والمعلن، الأمر الذي أدى إلى انحراف كبير على مستوى الممارسـة فـي دائـرة الصـراع، وجعـل أكـثر جهود المسلمين تستنزف بالجري في الاتجاه الخطأ.

وعليه فإن من الواجب علينا في ظل حملة الغـزو الثقـافي أن نتحـرى جيدا عند تعاملنا مع مسألة المفاهيم، وخاصة تلك التي لها علاقة بقضـية الهوية وقضية الصراع، بحيث نعمل على تحرير دلالاتهـا مـن خلال منهـج معرفي إسلامي، لتتحدد معانيهـا بدقـة، حـتى نضـمن فـي النهايـة صـحة التصور ووضوح الرؤية. على أنني سأقصر هنا على إثارة بعض الجــوانب المتعلقـة بمفهـومي الاحتلال والتحريـر، آملاً أن أعـود إلـى غيرهمـا فـي فرص قادمة إن شاء الله.

1 – الاحتلال الأجنبي: الصورة الواضحة

الاحتلال الأجنبي هو سيطرة قوة كافرة مـن غيـر أبنـاء البلـد علـى بلاد إسلامية لتحكمها مباشرة، وهي الصورة الواضحة للاحتلال، الصورة التي يعرفهـا المسـلمون علـى اختلاف مسـتوياتهم المعرفيـة، ولهـم مخـزون نفسي اتجاهها يجعلهم يرفضونها بقوة، ولا يقبلون التعايش معها نهائياً.

ولا فرق في هذا التوصيف (الاحتلال) بين أن يكون الحاكم عسـكريا أو مدنياً، كلاهما احتلال، وإن من استغباء العقول أن يصبح السؤال هو: هـل سيحكمنا حاكم مدني أم عسكري؟ (نموذج العراق)

ولا يمكن أن يسقط هذا الوصـف (الاحتلال) بقـرار مـن قـرارات هيئـة الأمم المتحدة ولا غيرها، كما فعـل مـع الأرض الـتي احتلهـا اليهـود سـنة 1967، الاحتلال هو الاحتلال، لا يمكن لبشر فردا أو جماعة أن يعلبـه فـي قالب "مشرعن" ليمرره على أمتنا أبـداً. سـيبقى دائمـا داخلا فـي خانـة "العدو الصائل" الذي يجب قتاله على الفور ولا يشترط لدفعه شـيء إلاّ القدرة المتاحة.

---

[2] - محمد قطب. مفاهيم ينبغي أن تصحح.

2 – الاحتلال بالوكالة: اللعبة القديمة

"لم يكن للاستعمار أن يستمر أبداً في أرض الأحرار، ولهذا رأى أن يؤهل من أهل البلاد مَن ينوب عنه، ويحافظ على مصالحة، فيضرب بذلك عصفورين بحجر واحد.. يخمد نار الثورة من قلوب الشعوب، ويحول العداء والصراع بين أبناء الوطن الواحد المخلصين والمنحرفين، ويبقى هو المستفيد، فمصالحه مصونة، ودماؤه محقونة، ولا يظهر إلا كحَكَم بين المتنازعين، بل أحياناً يظهر كبديل مؤقت حتى يضع وكيلاً جديداً.. والوكلاء على مدرستين (الفرنسية والإنجليزية)، فالفرنسيون يؤهلون الوكلاء ويسلطونهم مع مندوب خفي يدير الدولة ويحفظ المصالح، أما الوكلاء فهم الأدوات الظاهرة (لاحظ المغرب العربي كله لا زال تحت تأثير الثقافة الفرنسية). أما المدرسة الإنجليزية، فتؤهل الوكلاء وترسل مندوبها ليعمل كناصح ومستشار للنظام، ولهذا تلحظون أن هذه المجتمعات قد احتفظت بكثير من عاداتها، ولكن لا تقوى حكوماتها على التمرد على نصائح المستشار، فإن تمرد الوكيل عمد المستشار إلى تغييره، ولهذا أيضاً يندر تغيير الوكلاء في المدرسة الفرنسية. إلا أن هناك أيضاً مدرستين في تغيير الوكلاء (الإنجليزية والأمريكية) فالإنجليز يرون إجراء التغيير داخل القصر ومن أفراد النظام، أما الأمريكان فيرون تغيير النظام بالكامل بآخر بديل من منطلق تملكهم المطلق للقوة وتكبرهم واحتقارهم لمن سواهم"[1]

هذا ما فعل في الماضي مع المستعمرات الأوروبية، وهذا ما نراه يطبخ الآن لتحديد مستقبل العراق، أي إقامة حكومة من أبناء البلد (باعتبار الانتساب) تقيم في بغداد، لكنها تُدار بجهاز تحكّم عن بعد من واشنطن، أي بالواضح: حكومة عميلة لأمريكا، وما دام اليهود هم المتحكمون في القرار الأمريكي فهي عميلة لليهود. فليست السلطة المطلوب إقامتها هي تلك التي يختارها العراقيون بحرية بناءً على قناعاتهم، بل هي السلطة التي يفرضها الاحتلال، ولكن بطريقة «الضحك على العقول»، حيث تُختار في الكواليس شخصيات معينة، ثم يتم تلميعها في العلن، بعد أن يتم الاتفاق معها في الخفاء على أن تكون وكيلا له في حكم البلاد. ويكفي أن نعلم أن الحكومة التي يمكن أن ترشح في العراق سوف يكون على رأس التعهدات المأخوذة عليها:

- الاعتراف بـ«إسرائيل» وإقامة علاقات طبيعية معها.
- السماح بعودة الإسرائيليين من أصل عراقي ومنحهم الجنسية.

---

[1] - حازم المدني: هكذا نرى الجهاد.

- الالتزام بمكافحة الإرهاب المستهدِف للدولة العبرية.

فهل هذه الحكومة ستكون ممثلة للشعب العراقي أم للإدارة الأمريكية، وهل يجوز أن يقبل بها العراقيون لمجرد أنها عربية اللسان أو من أبناء البلد؟ وهل من العقل أن نضحي بشهدائنا وبجهودنا وبأموالنا لإخراج الاحتلال الأجنبي ثم نستسلم ساكنين ونركن خاضعين للاحتلال بالوكالة؟

3 – الحكومة الكافرة: الاحتلال الداخلي

بعد أن تسرب الضعف إلى الدولة الإسلامية العثمانية عمل بعض المستغربين من بني جلدتنا - وبتآمر مع العدو اليهودي والصليبي - على نقل عقيدة الوطنية إلى داخل العالم الإسلامي، لتفتيت كيانه الذي كان ممتدا من تخوم الصين في الشرق إلى حدود فرنسا في الغرب، كله وطن واحد، يستند إلى مبدأ واحد في الارتباط هو مبدأ الولاء للإسلام.

الوطنية معناها أن يشعر جميع أبناء الوطن الواحد بالولاء لذلك الوطن، أيا كانت أصولهم التي ينتمون إليها، وأيا كانت أجناسهم التي انحدروا منها، أي أن الولاء فيها للأرض بصرف النظر عن اللغة أو الجنس أو الدين. وعلى هذا الأساس يتحدد مفهوم الجنسية.. هذه واحدة.

أما الثانية، فهي أن مفهوم الوطن في حقيقته له ارتباط وثيق بواقع السلطة الحاكمة، وهناك حالة من التماهي بين الوطن وسلطة الدولة، تجعل مفهوم الوطن في واقع الأمر راجعا إلى واقع سلطة الدولة، والتي تعني على المستوى الميداني المساحة الجغرافية التي تحددت للكيانات المتولدة في خريطة "سايكس بيكو".

على أيٍ، مسألة الجنسية في العقيدة الوطنية راجعة إلى الولاء للأرض لا للدين، وهذا ما يخالف التصور الإسلامي لمسألة الجنسية، فقد جاء الإسلام إلى البشرية بتصور جديد لحقيقة الروابط والوشائج، تصور يقرر أن الدين هو الرابط الأول بين الناس، وهو الاعتبار الأول في تحديد الجنسية. أما الأرض - بذاتها - فلا اعتبار لها ولا وزن إلاّ بقدر سيادة الدين عليها! ومن ثم لا جنسية للمسلم إلاّ عقيدته التي تجعله عضوا في الأمة المسلمة الممتدة بامتداد العالم الإسلامي، والتي لا فرق فيها بين العربي والروماني والفارسي وسائر الأجناس مادام الجميع تحت راية الإسلام.

على هذا الأساس اشترط العلماء وصف الإسلام في النظام الحاكم، وهو ما أطلق عليه بعض الباحثين "عقيدة النظام" التي يشترط أن تكون إسلامية، و"المقصود بالعقيدة الإسلامية في هذا المقام العقيدة بالمعنى الأشمل الذي يطلق على الإسلام باعتباره دينا وبوصفه عقيدة وشريعة"[1]، بل إن "العقيدة بهذا المضمون هي جوهر الوجود المعنوي ليس فقط للنموذج الإسلامي لنظام الحكم، بل للجسد الإسلامي بجميع عناصره، فهي هوية النظام وجنسية الفرد ومصدر الولاء والانتماء"[2].

ومن هنا فإن الحكومات غير المسلمة تعتبر حكومات أجنبية بالنسبة للمسلمين، حتى وإن كانت من أبناء البلد، لأنها لا تحمل الجنسية الإسلامية، ولذلك لا يجوز أن تبسط سلطانها على المسلمين، ولا أن نسلم بولايتها علينا، لأنها ليست منا، والقرآن يقول {وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ } [النساء:59]، ومسألة الانتماء في التصور الإسلامي تابعة للولاء الديني، وليس لرابطة الأرض قال تعالى: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ ...حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ}[الممتحنة: 4]، ولا حتى لرابطة الدم قال:{يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ}[هود:46] خلاصة الكلام إذن، أن هذه الحكومات التي تسيطر الآن على بلاد المسلمين هي حكومات احتلال من المنظور الإسلامي، لأنها لا تملك جنسية المجتمع، فقد فقدتها بفعل الدخول إلى الردة من أبوابها المختلفة.. التشريع من دون الله، والحكم بغير ما أنزل الله، وموالاة الكافرين من يهود وصليبيين.. إلخ،[3].

وليس من منهج الله أن نعمل على تخليص الأرض من يد طاغوت روماني أو طاغوت فارسي، لنضعها في يد طاغوت عربي، لمجرد أنه من أبناء البلد، فالطاغوت كله طاغوت، بل ليس من العقل أن نتعب لنحرر بلاد المسلمين من الاحتلال الأجنبي لنضعها في يد الاحتلال الداخلي، فالاحتلال كله احتلال. ومن الأفضل لنا أن ندحر هذا الاحتلال الداخلي بأيدينا قبل أن يأتي العدو الأجنبي المتحرر من عقيدة الإرجاء وفكر الجبرية السياسية ليرفع راية تحريرنا منه، فيجعل من إزالة الاحتلال القديم فرصة لاحتلال جديد، وتتكرر العملية لتبقى أمتنا الإسلامية دائما هي الخاسر الأكبر.

---

[1] - فوزي خليل. دور أهل الحل والعقد في النموذج الإسلامي لنظام الحكم [ص 37].
[2] - فوزي خليل. دور أهل الحل والعقد في النموذج الإسلامي لنظام الحكم [ص 37].
[3] - أنظر مناطات كفر هذه الحكومات في كتاب الجامع للدكتور عبد القادر بن عبد العزيز.

ثالثاً: معالم على طريق التحرير.

الآن، وبعد أن عرفنا أن العالم الإسلامي كله تحت الاحتلال، فإن من واجبنا أن نطرح السؤال الذي يعبر عن إحساسنا بالمسؤولية اتجاه هذا الواقع، وهو: ما العمل؟

نعم ما العمل؟ فالواقع لا يتغير بالأماني ولا بالأحلام، وإنما لابد من العمل، قال تعالى: {لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً}[النساء: 123]، والأمة تخوض حرباً هي حرب الحاضر والمستقبل، واحتلال العراق يجب أن يحمل رسالة إلى الأمة بضرورة الاعتماد على نفسها، فالأنظمة الطاغوتية ليست معنية بالدفاع عن هوية الأمة وعن مقدراتها وعن غيرهما، الأنظمة الطاغوتية هي بدورها قوة احتلال جاثم على صدر الأمة، ويجب على أبناء الأمة أن يعتمدوا على كفاحهم المباشر في الوقوف في وجه الهجمة الصليبية والعمل على التحرر من المحتل الداخلي، لتنالوا شرف الاستقلال الحقيقي.

والحركة الإسلامية باعتبارها طليعة الأمة وأملها في التحرر، مدعوة إلى اتخاذ مواقف شجاعة وجريئة ومتقدمة، بحيث تتقدم الصف في ثورة الشعوب المسلمة، وتعمل على بلورة الأفكار في مشروع سياسي وحدوي يتحرك بجد نحو التحرير، فالذي ينقص أكثر فصائل الحركة الإسلامية اليوم ليس القدرات والإمكانات والطاقات، الذي ينقصها هو إرادة عازمة على التحرر حتى وإن غلى الثمن.

1 – خيار الجهاد واستراتيجية التحرر

هل يمكن أن يتحقق التحرر بلا جهاد؟

الجواب عن هذا السؤال من خلال الوحي لا يحتاج إلى عناء كبير، فقد كان القرآن واضحا إلى أبعد الحدود في ربط قضية تحرير الشعوب من الأنظمة الطاغوتية باستراتيجية الجهاد، قال تعالى: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ}[البقرة: 193]، فغاية القتال هي ضمانة ألا يفتن الناس عن دين الله، وألا يصرفوا عنه بالقوة، سواء كانت قوة التهديد والأذى الفعلي، كانت قوة الوضع الذي يعيشون فيه، من إحلال النظم الاجتماعية

والاقتصادية والسياسية غير الإسلامية. لأن وضعا كهذا هو بالنسبة للمسلمين وضع احتلال، يستوجب الجهاد، قال تعالى: {وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً}[النساء:75].

هكذا هي واقعية الرؤية التغييرية في التصور الإسلامي، يجب مواجهة الاحتلال بوسائل مكافئة لوجوده، فالاحتلال ليس فكرة نظرية يمكن أن دحرها بفكرة نظرية أصح منها، الاحتلال معناه سلطة تتخذ كافة الوسائل المادية لبقائها في الحكم، فهل من المنطق أن نتصور إمكانية دحرها بمجرد البراعة الخطابية وقوة البيان الفكري؟

إن إزالة الأنظمة المحتلة، وتحرير الشعوب من سلطانها المادي، "لا يتم بمجرد البيان والتبليغ، لأن المتسلطين على رقاب العباد، والمغتصبين لسلطان الله في الأرض، لا يسلمون في سلطانهم بمجرد البيان والتبليغ، وإلاّ فما كان أيسر عمل الرسل في إقرار دين الله في الأرض، وهذا عكس ما عرفه تاريخ الرسل - عليهم الصلاة والسلام - وتاريخ هذا الدين على ممر الأجيال"[1].

وإذا كان لابد من البيان والتبليغ (الدعوة) لمواجهة فسق المجتمعات المقهورة، فإنه لابد كذلك من الجهاد لمواجهة كفر الأنظمة المحمي بالسلطان المادي، فهما معا (الدعوة والجهاد) ضروريان لإصلاح الوضع القائم، فكل واحد منها يعد وسيلة مكافئة لما يواجه به، الدعوة للمجتمع، والجهاد للأنظمة الطاغوتية، وكما يقول ابن تيمية: "قوام الدين بالمصحف والسيف، كتاب يهدي وسيف ينصر"[2].

نعم قد تختلف سياسات العمل، تبعا لاختلاف المعطيات، فالاحتلال الأجنبي لا يمكن أن يواجه بنفس السياسة التي يوجه بها الاحتلال بالوكالة، وقد تتنوع أساليب الممارسة تبعا لتنوع الظروف، ولكن الاستراتيجية يجب أن تظل ثابتة، هي هي لا تتبدل ولا تتغير، الاحتلال لا يدحر إلاّ بالجهاد، ويجب في السياسات والأساليب أن تكون خارجة من رحم هذه الاستراتيجية ومنسجمة معها تمام الانسجام.

---

[1] - سيد قطب: "معالم في الطريق".
[2] - السياسة الشرعية.

2 – المقاومة السلمية تحت المحك

لعل التداخلات التي انطوى عليها مفهوم الجهاد في حقل التطبيق، وأنه مضمون يمكن ممارسته في أكثر من شكل، أو بالأحرى على أكثر من جبهة، قد دفعت بالبعض إلى البحث عن فضاءات جديدة للمفهوم، تبتعد عن الشكل القتالي إلى الممارسة السلمية التي لا تخرج عن إطار "القانونية"، وهو ما سمي مؤخرا بـ"الجهاد المدني".

طبعا أريد هنا أن أقف كثيرا عند مسألة التسمية هذه، وهل كل الممارسات السلمية التي لا تخرج عن إطار القانونية صالحة لأن تسمى جهادا أم لا؟ لا أريد أن أقف طويلا عن هذا لأن ارتباط الدلالة الأصلية لمفهوم الجهاد بالحرب أمر معروف، فإذا كانت الحرب هي أوسع من أن تنحصر في الجبهة العسكرية، فهناك الجبهة الإعلامية و..إلخ، فإن هذا لا يعني أنها تتسع للفعل الخارج عن دائرة المشاركة في الحرب. فالعمل الإعلامي مثلاً يمكن أن يكون جهادا ويمكن أن يكون دعوة ويمكن أن يكون غيرهما، على حسب السياق الذي ينتظم فيه، فإذا كان جزءا من المجهود الحربي فهو جهاد، وإلاّ فمحاولة إدخاله في الدلالة الأصلية للجهاد فيها نوع من التكلف، إذ يصعب جدا أن نسمي الظهور على شاشة التلفاز لإلقاء موعظة في فضل زيارة الأقارب جهادا بالمعنى الأصلي لكلمة جهاد.

المهم، لا نريد أن نتتبع كل أنواع الفعل في الممارسات السلمية لنحكم عليها هل هي جهاد أم لا، وهل تبرأ بها الذمة أم لا، فهذا عمل فقهي ليس من مقاصد هذا المقال، المقصود هنا هو الإشادة بأن المقاومة السلمية في مجملها لها أثرها الإيجابي في ساحة الصراع العام مع الأعداء، فالفعل الاحتجاجي باستنكار الاحتلال والتظاهر ضده وفضح مخططاته.. وإلخ، يعطي لخط الجهاد شرعية معنوية على المستوى الرمزي، مما يزيد من الرصيد السياسي للحركة المجاهدة، ويقوي مواقعها كحركة تحررية تدافع عن هوية الأمة وتعمل على تخليصها من سلطة الاحتلال الجاثم على صدرها.

على أن فاعلية هذه الاحتجاجية السلمية وفعاليتها تتطلب الارتفاع بها عن مجرد الممارسة التي تهدف إلى تفريغ شحنات الغضب عند الناس، لأنها بذلك تصبح أداة للتنفيس أكثر مما هي أداة للتوعية الجماهيرية والضغط على المحتل، وقد رأينا كيف يتحول الهدير إلى خرير، لينتهي

كل شيء وكأن لم يكن شيء.. وتتكرر العملية أكثر من مرة، بل في كل مرة، حتى اقتنع العدو بأن هذه هي عادة "المقاومة السلمية"، وأن سقف أدائها هو الضجيج المؤقت.

إلاّ أن هذا كله في كفة وتحول "المقاومة السلمية" إلى أداة بيد العدو يستعملها للنيل من الجهاد في كفة أخرى، فالوقوع في فخ التناغم مع خطاب العدو المحتل، وتسويق ثقافة الهزيمة وأدبيات الرضى بالأمر الواقع، يضع "المقاومة السلمية" في صف الموظفين لحساب مؤسسات الدولة، ويجعلها بالتالي مقاومة للجهاد وليست مقاومة للعدوان والاحتلال.

3 – بين الاستراتيجية والحسابات السياسية.

عندما نتحدث عن الجهاد كاستراتيجية لدحر الاحتلال فإننا مدعوون إلى ضرورة الاستحضار الجيد للحسابات السياسية، فالجهاد ليس ممارسة عفوية ارتجالية تتحرك في الفراغ، وإنما هو حركة على الأرض، تحتاج لكي تكون فعالة إلى استجماع مجموعة من الشروط والمواصفات، منها على سبيل المثال الاتسام بالتوازن بين المبدئية والواقعية، بحيث تجمع بينهما في آن واحد، دون أن يؤدي التزامُ المبادئ إلى إلغاء حسابات الواقع، ولا الاستجابةُ لظروف الواقع إلى تجاوز المبادئ.

طرح الفكرة الكبيرة بعيدا عن وسائلها الطبيعية، وتقديمها في إطار من الغموض السياسي، يجعل المسيرة الحركية تتجه إلى الهدف فيما يشبه القفز في الهواء الطلق، ويؤدي بالتالي إلى أن يتجسد الخط في الممارسة المحدودة، التي تفتقر إلى عناصر الفعالية، وقد يكون هذا ذا أثر عكسي في بعض الأحيان، خاصة إذا لم يتابع بالتغطية الإعلامية اللازمة، وخاصة كذلك عندما يكون الأداء محكوما بالعمل في ظل المعادلات الصعبة التي تحيط بالقضية من خلال التحديات الاستعمارية، وألاعيب القوى الانتهازية، التي تنتظر الفرصة السانحة لتحولها إلى عنصر من عناصر إرباك المسيرة الجهادية.

نعم يجب أن تبقى جذوة الجهاد مشتعلة لا تنطفئ، خاصة مع العدو الخارجي (الآن أمريكا)، ليتحول الأداء إلى عنصر ضاغط عليها بطريقة لا تسمح لها بالتقاط الأنفاس، من خلال إدارة الصراع معها بأسلوب الصدمات الكهربائية التي تلاحقها في كل وقت ومكان فلا تترك لها

فرصة لامتلاك التوازن في الموقف. ولكن لابد مع هذا من استحضار التوازن بين العام (العالمي) والخاص (القطري)، ولابد مع هذا كله من اعتماد التخطيط الذي يحترم الأبعاد السياسية في الحركة، والذي أرى أهمية أن تستحضر فيه أمور ثلاثة:

1 – انتقاء الأهداف: أي اختيار الأهداف بعناية فائقة، إذ قد يكون الهدف مساعدا على تحسين الصورة، وعلى تقديمها في شكلها الجيد الذي يحقق غرض الاستراتيجية، وقد يكون على خلاف ذلك، إذ إن الدخول في دائرة الخبط العشوائي يعطي صورة غير صحيحة عن طبيعة المشروع الجهادي، مما يفقده الأنصار الجدد، ويتيح للعدو فرصة تشويه الصورة، من خلال تقديم الخطأ السياسي على أنه خطأ في المنهج الحركي أو حتى في المنهج الفكري.

2 – اختيار التوقيت: أي النظر في مدى مواءمة التوقيت لمعطيات الساحة ما استطاع المجاهدون إلى ذلك سبيلاً، وخاصة الساحة المحلية، لأنها ميدان العمل، فذلك مما يزيد من أثر الأداء ومن قيمته السياسية، ويجعله خادما بشكل أكبر للقضية.

3 – إتقان التنفيذ: أي أن يتسم بالدقة والبراعة، بحيث يكون شبيها بالعملية الجراحية التي يجريها الطبيب البارع في المناطق الحساسة من الجسم، قال [illegible]: ([illegible]) [illegible].

[illegible]

♦ [illegible]

ماذا بعد احتلال العراق

أبو عبيد القرشي

خَلَّفَ احتلال العراق شرخا عميقا آخَرَ في الذاكرة العربية والإسلامية، فبعد النكبات التي تعرضت لها الأمة مع الكيان الصهيوني طيلة نصف قرن من الزمان، و النكسات التي شهدتها الأقليات الإسلامية في العالم، والمذابح المروعة التي شهدتها الشعوب العربية في مسعاها لاستئناف الحياة الإسلامية، أصيبت الأمة الإسلامية بمصاب جلل آخر يتمثل في عودة الجحافل الصليبية لاحتلال الأراضي الإسلامية، كما حدث في العراق ومن قبله في أفغانستان.

ومع ذلك فإن هذا الوضع المظلم مشرف على الانتهاء، فمقاومة الجسم الإسلامي في تصاعد وهيبة الصنم الأمريكي راحت إلى الأبد. أمريكا لم تسقط النظام العراقي إلا بالصفقات والرشاوى وليس بالقوة العسكرية رغم الفرق الهائل بين القدرات، ولم تبسط سيطرتها الكاملة على العراق إلى حد الساعة بسبب وجود مقاومة متزايدة.

كما أن الاحتلال الصليبي للعراق أفرز معطيات جديدة على الأصعدة الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية يجدر التعرف عليها، لأنها تحمل في طياتها بذور انقضاء النظام العالمي الأمريكي.

أولا: معطيات الوضع الجديد

1- على الصعيد الاستراتيجي

يمكن القول أن احتلال العراق من قبل العدو الصليبي أحدث تغييرا في الميزان الاستراتيجي للمنطقة العربية والإسلامية ولمناطق أخرى من العالم كأوروبا ووسط آسيا. وهذه بعض الآثار المترتبة :

أ - المنطقة العربية الإسلامية

- التهديد الصريح الذي وجهه الأمريكيون لسوريا بالالتزام التام بما يملون عليها وإلا ستواجه عواقب وخيمة. وللعلم فإن سوريا قامت بكثير من الخطوات للتقرب من أمريكا خلال العقود الماضية كتصفية الوجود الفلسطيني في لبنان، والإجهاز على الحركة الإسلامية في سوريا، والمساهمة في حرب الخليج الثانية ضد

العراق، وأخيرا المشاركة في الحملة الصليبية ضد المجاهدين بحماسة منقطعة النظير، إضافة إلى أن الحدود السورية مع الكيان الصهيوني لم تشهد توترا قط منذ أزيد من ثلاثين سنة. وإذا كانت القيادات السورية قد دأبت في الماضي على إطلاق تصريحات قومية رنانة، أو استضافة مكاتب للمجاهدين الفلسطينيين فإن ذلك يدخل في نطاق ذر الرماد على العيون. كل هذا لم يشفع لسوريا أمام أمريكا، ليس كرها في النظام السوري الذي قَدَّمَ مرارا خيانات جليلة للأسياد، وإنما كرها في الشعب السوري المسلم، الذي شكل عبر التاريخ حجرة عثرة أمام الغزاة. ومن الواضح أن الحملة الصليبية ستعرج على سوريا عاجلا أو آجلا، لأن ذلك هو السبيل الوحيد لإزاحة إرادة المقاومة ضد الكيان الصهيوني لفترة طويلة، بعد أن تكون الشعوب العربية الأساسية في المنطقة قد استنزفت تماما.

- التهديد الصريح الذي وجهه الأمريكيون لإيران بأن تنصرف عن الشؤون العراقية. لقد باتت إيران في وضع استراتيجي لا تحسد عليه بعد أن خنقها التطويق من حدودها الغربية (مع العراق) وحدودها الشرقية (التواجد الأمريكي في أفغانستان - باكستان) والشمالية (التحالفات الأمريكية في بحر قزوين) والجنوبية (القواعد الأمريكية في الخليج العربي)، إضافة إلى أن أوضاعها الداخلية غير مستقرة نظرا للخلافات العميقة بين الإصلاحيين والمحافظين، مما جعل مراكز القرار الإيرانية متعددة ومتنافرة ومتوزعة الولاءات ما بين خامنئي ورفسنجاني وخاتمي. وإذا كانت إيران تملك (إلى حد ما) ورقة شيعة العراق لتحريكها في الوقت المناسب، إلا أن أمريكا باحتلالها العراق حصلت على أوراق جديدة تمكنها من تهديد الحكم الإيراني في الصميم، كالسعي لفرض مرجعية جديدة للشيعة في النجف تنافس مرجعية قم وتكون مناوئة للحكم الإيراني، وتشجيع المعارضة الإيرانية (الإصلاحيون، القوميات الإيرانية المضطهدة الخ)، إضافة إلى التحكم في أسعار النفط عبر الضخ المتزايد للنفط العراقي مما سيكون له بالغ الأثر على القدرات الاقتصادية الإيرانية.
- مطالبة تركيا بالاعتذار على تخلفها عن الحملة الصليبية حينما وجّه نائب وزير الدفاع الأمريكي ولفيتز انتقادات حادة لتركيا خلال مقابلة تلفزيونية الثلاثاء 6-5-2003 مع شبكة "سي إن إن" الأمريكية. ومعلوم أن أداء النظام التركي خلال الغزو الصليبي للعراق صَعَّبَ الأمور كثيرا على الغزاة الأمريكيين، مما وتر العلاقة

بيـن الطرفيـن. ولـذلك فـإن النظـام الـتركي دعـا فـي مقابـل التصريحات اللاذعة للإدارة الأمريكية إلى استرجاع قاعدة إنجرليك التركيـة الاسـتراتيجية مـن يـد الأمريكييـن، وهـو مـا لا يحبـذه الأمريكيون إطلاقا.

- العداء الشعبي العربي لأمريكا زاد بمعدلات صـاروخية بعـد الإذلال المريع الذي يعيشه المسـلمون القـابعون تحـت الاحتلال الصـليبي في العراق، ولا شك أن هذا العـداء سـيتمخض عـن ازديـاد العمـل الجهادي في المنطقة العربية والإسلامية، ما دام قـد تـبين للجميـع أن المعادلة بيـن أمريكـا والإسـلام هـي معادلـة صـفرية، لا يمكـن لأحدهما البقاء دون فناء الآخر.

وخلاصـة الوضـع الاسـتراتيجي الجديـد أنـه ليـس تمامـا فـي مصـلحة الولايات المتحدة نظرا لأن المُعامِلات المجهولة في المعادلة كـثيرة، فلا أحد يعرف كيف ستتحرك إيران بعد فـترة الـترقب الحـذر الـتي تعيشـها الآن، ولا أحد يعلم كيف يمكن للعلاقات السيئة مـع تركيـا أن تتطـور، ولا كيـف سيتصـرف النظـام السـوري الـذي خـالف أصـلا كـل التوقعـات بمساندته للنظام العراقي قبـل وخلال الحـرب. إن التحـالف السـوري - الإيراني قائم منذ زمن، لكن إذا حصل تجاوز للخطوط الحمـراء التركيـة من طرف الأكراد، فإن تركيا ستنحاز أكثر للتحالف السـوري - الإيرانـي، مما يعني أن الاستعمار الأمريكي للعراق قد يواجه امتحانـا صـعبا يجعـل مكوثه طويلا ضـربا مـن المسـتحيلات. وقـد بـدأت المخـاوف تجـاه هـذا الاحتمال تنهمر من مراكز الدراسات الغربية[1].

بموازاة ذلك فإن الغضب العربي والإسلامي قنبلة موقوتة، ولذلك فإن أمريكا تحاول استباق الزمن عبر علمنة أرض الحرمين، و تُخَطِّط بالليـل والنهار للقضاء على المجاهدين في كل مكان، لعلهـا تتمكـن مـن تكبيـل المارد الإسلامي... ولكن هيهات.

ب - المناطق الأخرى

أطلق الهجوم الأمريكي على العراق وما رافقـه مـن تجـاوز للتوازنـات الدولية القائمة جـرس الإنـذار فـي العديـد مـن الـدول الكـبرى كفرنسـا وروسـيا، نظـرا لمـا يعنـي ذلـك مـن احتقـار أمريكـا لتلـك الـدول وبيـان

[1] - George Friedman, 'The war in Iraq is not over', *The Stratfor Weekly*, 04/11/03

استغنائها عن دعمها المادي والسياسي، بل وإرغامها على التحول إلى دول من الصف الثاني والثالث، بعد أن كانت تلك الأمم تتمتع بالريادة في مجلس الأمن. جاء رد فعل تلك القوى بالسعي لتقوية جيوشها وإبرام تحالفات إقليمية كما حدث في أوروبا حين اجتمعت فرنسا وألمانيا وبلجيكا ولكسمبورغ في حلف دفاعي أوروبي مشترك، وكما حدث مع روسيا حين أشرفت على تكوين حلف للدفاع المشترك بين سبع دول سوفيتية سابقة (روسيا وأرمينيا وروسيا البيضاء وطاجكستان وكازخستان وأوزبكستان وقرغيزستان).

إذن المفاجأة الثانية للغزاة هي أن الفراغ السياسي التام لم يحصل، كما أن الكرزايات التي هيأتهم أمريكا لحكم الشعب العراقي لم يحصدوا إلى الآن سوى الفشل. فعبد المجيد الخوئي الذي راهنت عليه بريطانيا وأمريكا قُتِلَ في غضون أيام من دخوله العراق، أما أحمد شلبي والذي دخل العراق رفقة 600 من رجاله، فإنه يواجه صعوبات جمة في فرض زعامته على العراقيين، بل وحتى في فرض شخصه على الإدارة الأمريكية التي قدم لها الخدمات الجليلة، فقد وردت أنباء[1] عن استنجاده بمؤسسة للعلاقات العامة (Burson-Marsteller) وإنفاقه الأموال الطائلة في مسعى لتحسين صورته أمام الأمريكيين. كما أنه استعدى المحيط الإقليمي الصديق لأمريكا (الأردن - السعودية) بعد أن سلبت قواته أرشيف المخابرات العراقية في محاولة منه لكسب الامتياز على خصومه، لكنه ضيع هذا الامتياز بانتقاده العلني للأنظمة المحيطة بالعراق، وتهديده بنشر حقائق مزعومة حول علاقة هذه الأنظمة بنظام صدام، مما قلص أكثر من هامش مناورته.

أما المفاجأة الثالثة للمراقبين داخل وخارج العراق هي أن الاستعمار الأمريكي يخبط خبط عشواء، وتبين جليا أن تصورات الاحتلال إنما بُنِيَتْ

[1] - *The Holmes Report*, May 5, 2003.

على معطيات خاطئة، وقد أقر الجنرال المتصهين جارنر بنفسه بهذه الحقيقة حين قال أنه كان يتوقع استسلام الجيش العراقي بكامله، ليستعمل جارنر 100000 جندي وضابط مستسلم لمهام السيطرة على الأرض، لكن أفراد الجيش تبخروا وسط المدنيين ولم يحصل المراد الأمريكي[1]. بل وذهب البعض أن أمريكا ليس لديها من البداية خطة محكمة لحكم العراق، وإنما تم اختيار عدد من الموظفين الأمريكيين الذين طُلب منهم ارتجال الحلول للمشاكل!! وزاد الطين بلة التصادم في السلطات بين وزارة الخارجية الأمريكية والبنتاغون، ثم تعيين موظف آخر (بريمر) فوق الجنرال جارنر، ولم يعد الموظفين يعرفون من يُصدر الأوامر ولا من يطيعون. لذلك فشلت المساعي الأمريكية فشلا ذريعا في فرض حكومة جديدة في العراق، وهو الفشل الذي اعترف به مسؤول ديبلوماسي أمريكي قضى ثلاث أسابيع في العراق[2]. وجاء التخبط الأمريكي ليزيد من تلطيخ الصورة الأمريكية على الصعيد الخارجي.

أمريكا فشلت في المرحلة الأولى من استعمارها للعراق ولا غرابة، فخلافا لما ترددده آلة الكذب الأمريكية ويعتقده الجهلة السذج من أن الاحتلال "سيرسي قواعد للديمقراطية، ويبني أسس المجتمع المدني، ويطور الاقتصاد العراقي"، يبين التاريخ أن الاستعمار الأمريكي إذا طال دولا خارج المجال الحيوي لأمريكا كالفلبين وليبيريا[3] مثلا، فإنه يجعل هذه الدول تعيش في دوامة من الفقر المذقع والانحطاط التام والحرب الأهلية.

من جهة أخرى يعتبر المحللون أن أمريكا لم تستطع قط في تاريخها استثمار تفوقها العسكري للنجاح سياسيا، ويكفي النظر في نموذج أفغانستان للبرهان على ذلك[4]، حيث أن أمريكا رغم نجاحها في السيطرة على المدن إلا أنها لم تبن نظاما سياسيا بمعنى الكلمة، وإنما أقصى ما فعلته هو تسليح عصابات قطاع الطرق ومنحهم سلطات واسعة، وهو الوضع الذي ارتد سريعا على الوجود الصليبي في أفغانستان، حيث طفح كيل الأفغان بممارسات قطاع الطرق، وبات

[1] - *Washington Post* May 4 , 2003.

[2] - *The Independent*, 09/05/2003

[3] - لا يُلتفت إلى حالتي ألمانيا واليابان التي كانتا دولتين متقدمتين ذات قاعدة صناعية متطورة، إضافة إلى أن دورها الجيوسياسي بعد الاحتلال كان محوريا لاحتواء الاتحاد السوفييتي.

[4] - Gabriel Kolko, 'The Age of Unilateral War: Iraq, the United States and the End of the European Coalition' *CounterPunch*, April 30, 2003.

الوضع مهيئا لرجوع إمارة المؤمنين إلى حكم كل ربـوع أفغانسـتان مـرة أخرى.

إذن الوقاحة الاستعمارية الأمريكية التي تجلـت فـي القتـل العشـوائي وتشجيع النهب وعدم الكفاءة الإدارية زاد من كشف العورات الأمريكيــة في العراق، وهو ما ينذر بصيف ساخن.

3 - على الصعيد الاقتصادي

لقـد بشـرت الدعايـة الصـليبية العراقييـن بجنـة إعـادة الإعمـار، لكـن سرعان ما اتضح للمغفلين أن الجنة الموعودة ما هي في الحقيقة سوى نار تلظى، فلا نية لأمريكا على الإطلاق في تطوير الاقتصاد أو على الأقل العودة بالعراق إلى مستويات ما قبل حرب الخليـج الثانيـة، وذلـك لعـدة أسباب من بينها:

أ - الأزمة الاقتصادية الخانقة التي تعاني منها أمريكا:

لقد اختارت الإدارة الأمريكية ساعة الصفر لغزو العراق بعنايـة فائقـة، فقادة أمريكـا كـانوا علـى علـم بموعـد صـدور الأرقـام الرسـمية لنتائـج الاقتصاد الأمريكي الكارثية لسنة 2002، فاختاروا الـوقت الأنسـب حيـث الـرأي العـام الأمريكـي مشـغول بمجريـات الحملـة العسـكرية. فـالنمو الاقتصادي بلغ بالكـاد 2.4 %، وهـي نسـبة يتفـق عليهـا جميـع المحللين الاقتصاديين بأنها غير كافية، والعجز الاقتصادي من جهته زاد بنسـبة 21.5 %ـ ليبلغ 435.2 مليار دولار، أما العجز التجاري (قطاع السلع) فقـد زاد ب 13.4 %ـ ليصل إلى 484.2 مليار دولار، في حين بلـغ العجـز التجـاري فـي قطاع التصنيع 373 مليار دولار ليزيد بنسبة 15.3 % عن سـنة 2001، وهـو تدهور فاق كل المقاييس. وحـتى قطـاع الخـدمات الـذي ينظـر لـه فـي أمريكا على أنه قطاع المستقبل فإن العجز في هذا القطاع بلغ 22.6 % أو ما يعادل 49.1 مليار دولار، وهو أسـوأ مسـتوى منـذ 1991. ورغـم هـذه الأرقام السيئة فإن بوش تقدم بمشروع للإعفاء الضـريبي عـن الأغنيـاء، وهو مشروع نوقش أثناء غزو العـراق، وسـيزيد هـذا الإعفـاء مـن إثقـال كاهل الخزينة الأمريكية التي سـتبقى فـي أحسـن أحوالهـا مكبلـة بعجـز ثقيل يعادل 1.4 تريليون دولار إلى حدود 2012.

يتضح أن أحـوال أمريكـا الاقتصـادية سـيئة وبالتـالي لا يرجـى منهـا أن تضحي بشيء من أموالها لصالح العراقيين، ولو إلى حيـن ازديـاد النفـط العراقي في الأسواق.

ب - ميزانية الحرب لا تتكلم عن إعادة الإعمار:

تبلغ الميزانية التي طلبتها إدارة بوش في حدود 70 مليار دولار ومن ضمنها 62 مليار دولار للأغراض العسكرية. أما إعادة الإعمار فلم يرد عنها شيء مخصص، بل وقد تكلم المحلل الاقتصادي (Krugman Paul) أنه لا ينبغي أن يخادع أحد نفسه فيعتقد أن دافعي الضرائب الأمريكيين سيدفعون كلفة إعادة إعمار العراق. ويرى آخرون أن الكونجرس لن يتجاوز صرف مبلغ 2 مليار دولار في أحسن الأحول لهذا الغرض، وحتى إذا تم هذا فعلا فإن ذلك لن يكون سوى خطوة لتوريط دول أخرى لتشارك عنوة أو عن طيب خاطر في صناديق الإعمار الأمريكية، لا ليضخ المال في الاقتصاد العراقي ولكن لدفع فاتورة المجهود الحربي الصليبي.

ج - أمريكا هي التي تنوي الانتفاع من العراق وليس العكس:

لقد صدر تقرير عن صندوق النقد الدولي[1] يتبين من خلاله بشكل صارخ أن هناك أربعة دول تعاني من اختلال كبير في التوازن الاقتصادي، ومن بين هذه الدول الأربعة أمريكا وبريطانيا وأستراليا، أي باختصار دول التحالف الاستعماري الذي غزا العراق، مما جر البعض إلى تسميته بتحالف المفلسين. وقد كشف التقرير أن شعوب هذه الدول تعيش فوق قدراتها، وأن نسبة المديونية الخاصة والعامة وصلت إلى مستويات ضخمة. ولهذا السبب فإن الاقتصاد الأمريكي هو الذي يأمل في الانتعاش من جراء الاستيلاء على مخزون النفط العراقي وليس العكس.

وحتى إذا أرادت أمريكا رمي الفتات للعراقيين بعد تقاسم الغنيمة مع الدول الصليبية الحليفة، لن يكون ذلك ممكنا. فالمنشآت النفطية العراقية لا تضخ سوى 2.1 مليون برميل في اليوم، وبالافتراض أن هذه المنشآت ستعود لمستويات سنة 1979 ما قبل حروب الخليج الثلاث، بإنتاج يصل إلى 3 مليون برميل في اليوم، أي ما يعادل 25 مليار دولار سنويا. وإذا علم أن إعادة تأهيل الشبكة الكهربائية لوحدها يكلف في أقل التقديرات 20 مليار دولار، وإعادة تأهيل المنشآت النفطية يتطلب على الأقل 6 مليار دولار، وأن الأرقام الإجمالية لإعادة البناء في العراق تصل في بعض التقديرات (Nordhaus) إلى 105 مليار دولار، فإن هذه

[1] - The World Economic Outlook of the International Monetary Fund (IMF) issued in January 2003.

الأرقام الضخمة لن يتمكن الإنتاج النفطي العراقي من تغطيتها على الأمد المتوسط ولن تغطيه بطبيعة الحال أمريكا. قد يكون هناك حل لهذه الإشكالية بزيادة الإنتاج النفطي العراقي إلى حدود 8 مليون برميل يوميا، لكن هذه الزيادة ستغرق السوق، وتطيح باقتصاد دول تهتم أمريكا جدا باستقرارها مثل روسيا (لترسانتها النووية) والمكسيك (جارة أمريكا)، إضافة لدول الخليج.

قد يقول قائل ماذا استفادت أمريكا إذن من احتلال العراق، والجواب هو أن المخزون العراقي الضخم من النفط قد أمن الحاجيات الاستراتيجية الأمريكية على المدى البعيد، ومكن من التحكم في أسعار النفط لكي لا تتعدى أبدا سقفا معينا ترضاه الشركات النفطية الأمريكية والمستهلك الأمريكي. لكن الفائدة الاقتصادية الأساسية التي جناها الأمريكيون على المدى القصير من احتلال العراق، هي المحافظة على الدولار كعملة أساسية للتعامل الاقتصادي العالمي، عبر الإبقاء على سعر مرتفع للدولار، بعد أن ظهرت العيوب الضخمة للاقتصاد الأمريكي ولم يعد من الممكن إخفاؤها.

إذن الأوضاع الاقتصادية في العراق لن تتحسن، بل ستزداد سوءا طالما أن أمريكا ستنفرد بالنفط العراقي لنفسها، فالدول الكبرى لن تتسرع لضخ الأموال في جيب أمريكا، وتكلفة الغزو الحالي ستضاف إلى رقبة الحكومة العميلة المرتقبة رفقة الديون السابقة لتثقل كاهل العراقيين، مما يعني أن السماء العراقية ستتلبد قريبا بغيوم ثورة عارمة على الصليبيين.

ثانيا : خطوط عريضة لمواجهة الوضع الجديد

إذا كان الشق الأول من المقال عبارة عن قراءة استراتيجية للأوضاع التي نجمت عن احتلال العراق، فمن الضروري البحث عن وسائل لعلاج آثار هذه الأحداث سواء على مستوى القطر العراقي أو على مستوى الأمة الإسلامية. وبداية يمكن القول أن الاحتلال الصليبي ليس أمرا طارئا أو جديدا على الأمة الإسلامية، بل لقد عانت منه أمة الإسلام ولا زالت في أقطار عديدة (فلسطين والشيشان...)، ومن ثم فإن الخبرة الجهادية في التعامل مع الاحتلال متوفرة بغزارة.

أ - داخل العراق

بما أن العراق فسيفساء عرقية ودينية وأن كل الأطراف باستثناء أهل السنة لهم أجندة مسبقة مع أنظمة أو دوائر خارجية، فإن هذا البحث سيقتصر على كون أهل السنة هم وحدة التحليل، نظرا لأنهم هم المستهدفون حقيقة من خلال الاحتلال وليس غيرهم، وهم كذلك المعنيون أساسا بإخراج الاحتلال الصليبي من العراق لأن كل من سواهم يخضع للمعطيات الخارجية أكثر من خضوعهم للاعتبارات الداخلية.

على المستوى السياسي

يظهر بجلاء أن أهل السنة نظرا لكونهم عصبية النظام السابق، فإنهم لم يكونوا مستعدين لما بعد سقوطه. كما أن الصحوة الإسلامية السنية ظلت طيلة عقود من الزمن تعاني من قمع وبطش شديدين لتعارضها مع علمانية النظام السابق. ولذلك فإنه ليس من المستغرب أن تكون صفوف السنة العراقيين غير منظمة ومواقفهم غير منسقة، لكن هذا الوضع لا بد أن يتغير بسرعة لأن الوقت لا يرحم، والاحتلال كلما طالت مدته اشتد عوده وصعب اقتلاعه. ولهذا ينبغي القيام بسلسلة من الإجراءات، لعل أبرزها:

- **تنظيم الصفوف**

إن أول عمل ينبغي السعي إليه بكل قوة هو تنظيم الصفوف. ولعل هذه الخطوة هي أصعب الخطوات لما يشوب هذا الشأن من تضارب المناهج والأفكار والمصالح. رغم ذلك لا بد لثلة مؤمنة من التفرغ لهذا الأمر، وتكبد مشاق السفر طول البلاد وعرضها، والبحث مع المصلحين من ذوي الاهتمامات المشتركة والمهتمين بإخراج الكفرة من بلاد الإسلام. بعد إيجاد الأرضية التنظيمية المناسبة ينبغي التفكير في الفصل بين الأجهزة الدعوية/السياسية والأجهزة القتالية، مع مراعاة الإبقاء على خيط رقيق (لكن شديد الصلابة) بينهما حتى لا ينفلت الأمر تنظيميا، فمهمة إخراج العدو ليست هينة بل ستأخذ وقتا طويلا وجهدا جهيدا، ويجب الاحتراز من الضربات المعاكسة التي قد تأكل الأخضر واليابس. لا بد كذلك على الجهاز الدعوي/السياسي أن يهيئ رجالا يتمتعون

بقدرات اتصالية هائلة ونباهة سياسية معتبرة (على أن تكون معرفتهم منعدمة بالشؤون العسكرية للتنظيم، وكذلك شبه منعدمة بالهيكلية التنظيمية حتى لا يقع ضرر على التنظيم حال انكشاف هؤلاء لسلطات الاستعمار أو اختراقهم)، ويجب أن تكون مهمتهم الأولى هي القيام بمد الجسور مع كافة الفعاليات الممثلة لأهل السنة وغيرهم، بهدف تنسيق المواقف وتبادل المعلومات وتقويم الأوضاع، وأن يكون غرضهم النهائي هو تأسيس إجماع لأهل السنة تحت راية الجهاد، وتوطيد الجبهة الداخلية السنية ضد محاولات الأعداء لإضعافها، وتوفير السند الشعبي اللازم للمجاهدين.

- **ترويج فكر الجهاد**

ينبغي التنويه هاهنا أن أهل السنة بالعراق وجدوا أنفسهم تائهين وسط بلبلة من الأفكار والاجتهادات، فمن مثبط قائل أن الاحتلال مؤقت وسيذهب بعد سنين قليلة فلنترك له فرصة البناء، ومن مخذل قائل بأن لا سبيل لمقاومة أمريكا، ومن حالم يدعي أن المقاومة السلمية أجدى وأنفع... وكلها مقولات تزيد الصفوف اضطرابا وبعدا عن الاستعداد للمقاومة الفورية للعدو، زيادة على أنها تمكن الاحتلال الصليبي من كسب الوقت الثمين لترسيخ بقاءه في المنطقة لوقت طويل جدا. من الواجب إذن على الثلة المؤمنة البدء بترويج الدعوة لفريضة الجهاد، وذلك عبر نشر الكتب والأدبيات الجهادية وترويج الأشرطة والأقراص المحرضة على العدو، وحث الدعاة والأئمة وأعلام الناس على تبني قضية الجهاد لأنها الخلاص الوحيد في الدنيا والآخرة، كما يجب نشر هذه المواد بين أولي المروءة والفتوة والشجاعة من أبناء السنة العراقيين. وبإذن الله ستجد هذه الدعوة صداها وستسهم في تأسيس أعمدة فكر ثوري جهادي داخل العراق يعجل بذهاب ريح الاستعمار.

- **تفعيل أجواء الانهيار**

لن تكفي الخطوات السابقة لإخراج عبدة الصليب من بلاد العراق، وإنما يجب السعي الحثيث للإبقاء على أجواء الانهيار فيما يخص كل المخططات الصليبية، بمعنى أن يحصل تحدي لكل القرارات الصليبية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والإعلامية، عبر الرفض المطلق لكل ما من شأنه توطيد أركان الاستعمار، بما في ذلك مقاومة عملائه وأدواته وقراراته... في المقابل ينبغي تنظيم حملة دعائية شرسة ومستمرة ضد

الاستعمار الصليبي، وذلك بنشر المنشورات والصحف والملصقات وكتابة الشعارات والتكلم بمكبرات الصوت، فالتحكم في عقول وعواطف الشعب هو الميدان الأول للحرب، ومن ثم ينبغي الاستماتة في هذا الجانب إلى أقصى حد، حتى لا يجد العدو أرضا تحمله ولا سماء تقله في العراق، ليجد المجاهدون بذلك الوضع ممهدا والقتال ميسرا.

- **الابتعاد عن الخلافات الهامشية والتركيز على العدو الصليبي**

لا شك أن أول قاعدة يوظفها أي استعمار كيفما كان هي القاعدة المعروفة فَرِّقْ تَسُدْ. ولذلك فإن أكثر ما يتمناه الغزاة هو أن يغرق العراق في بحر من الخلافات العرقية والطائفية، ويخلو لهم الجو لضخ النفط والتهييء لحملات صليبية أخرى. يجب إذن على أهل السنة في العراق أن يفوتوا الفرصة على عدوهم ولو بغض الطرف حول تجاوزات الأطراف العراقية الأخرى، ويضعوا كل الثقل والتركيز ضد العدو الصليبي وخاصة الأمريكي، واستنزافه بكل الوسائل السياسية والإعلامية والأمنية والعسكرية وذلك لرفع كلفة الاحتلال لتسريع فشله. مع أخذ كافة الاحتياطات اللازمة اتجاه الأطراف العراقية ذات المشاريع المشبوهة.

- **استثمار أخطاء الصليبيين**

إن التجربة الاستعمارية لأمريكا ضعيفة للغاية ولذلك فإنها ارتكبت أخطاء كثيرة على أرض العراق، توجتها مؤخرا بشطب الآلاف من الجنود والضباط من سلك الجندية ورميهم للشارع. لا بد من استثمار مثل هذا الفعل الأخرق والاجتهاد قدر الإمكان لدفع هؤلاء الجنود نحو أحضان المجاهدين ضد القوات الصليبية ما داموا مدربين والأسلحة متوفرة. وهكذا ينبغي لكل خطأ ترتكبه القوات الاستعمارية من أن يجد صداه في أنهار من الدم الصليبي، بحيث يكون الثمن السياسي فادحا يدفع بعجلة التغيير إلى الأمام .

على المستوى العسكري

ينبغي الإشارة هاهنا أن العدو الوافد له أهداف معينة ومواطن قوة ومواطن ضعف. من المهم إذن الاجتهاد لتحطيم أهدافه أو على الأقل

جعل كلفتها أغلى من نفعها لديه، كما ينبغي تفادي مـواطن قـوته لمنعـه من الاستفادة منها، والهجـوم علـى مـواطن ضـعفه حـتى يفقـد تركيـزه وصوابه.

- **التركيز على النفط**

بما أن الهدف الأساسي لقوات الصليب هو احتلال منابع النفط، فليكن هذا الهدف على رأس أولويات الاستهداف. قد يقول قائـل أن المنشـآت النفطية تحت حراسة مشددة واستهدافها ضـرب مـن المسـتحيل، لكـن الحقيقة أن اسـتخراج النفـط عمليـة معقـدة وأصـعب مـن أن تـوفر لهـا الحراسة الشاملة. وتستخدم فـي مثـل هـذه الحـالات القاعـدة الفقهيـة المعروفة: "ما لا يدرك كله لا يترك جله"، بمعنـى أنـه إذا كـانت مصـافي التكرير شديدة الحراسة فإن الأنابيب الناقلة للنفط طويلـة جـدا وسـهلة الاستهداف، وإذا كان من المستحيل اختراق المصافي فهذا لا يعني عدم استهداف الصليبيين القائمين عليها، أو وضع لغـم فـي طريـق الصـهاريج المتنقلة... الخ. فالاستفادة مـن النفـط تمـر بمراحـل عديـدة اسـتخراجا ونقلا وتكريرا وتصديرا، وكلها مراحل تستحيل حمايتهـا مـن البدايـة إلـى النهاية.

- **التركيز على الجنود الأمريكيين**

من المعلوم أن الجنود الأمريكييـن هـم مركـز ثقـل الحملـة الصـليبية، فبلادهم هي المتزعمة للحملة والمخططة لها، وهم كـذلك أكـثر الأعـداد تواجدا وأشدهم حنقا وحقدا، كمـا أن أرواحهـم أكـثر قيمـة مـن غيرهـم، وبالتالي فهم من ينبغي الاسـتهداف بكـل قـوة. مـن البـديهي أن أمريكـا تعرف طبيعة جنودها الجبناء، ولذلك فإنها تحشر فـي كـل حروبهـا دولا لا ناقة لها ولا جمل فيهـا، وفـي العـراق سـيتكرر نفـس الشـيء مـع جنـود بولونيـا وأكرانيـا وألبانيـا الـخ. وهـي دول عـالم - ثالثيـة لا قيمـة للـروح البشرية لديها. إن التركيز علـى جنـود أمريكـا سـيؤدي حتمـا إلـى ضـجر الجنـدي الأمريكـي ومطالبـة الوحـدات الأمريكيـة بترحيلهـا، وبـذهابها سترحل حتما القوات الأخرى.

- **استعمال الوسائل غير المكلفة**

نظـرا لطبيعـة الصـراع الطويلـة مـن المفيـد الاقتصـاد فـي طاقـة المجاهـدين قـدر الإمكـان، وذلـك بتفـادي الالتحـام المباشـر واسـتعمال عوض ذلك وسائل فعالة وقاتلة كالألغام والقناص والصواريخ وغيرها مما يصيب العدو في مقتل دون أن يكلف المجاهدين الشيء الكثير.

- **الابتعاد عن العفوية والتسرع**

من الملاحظ أن مناطق عراقية - كالفالوجة مثلا - بلغ نضجها الجهـادي أكثر من مناطق أخرى. وإذا كانت المقاومـة المتقطعـة وتكتيكـات الكـر والفر مفيدة للإبقاء علـى أجـواء الانهيـار للعـدو، إلا أنـه ينبغـي مـع ذلـك الاحتراز من محاولة حسم المعركة سريعا مـع الصـليبيين بالـدخول فـي مواجهة شاملة مع العدو دون تنسيق، لأن ذلك يمكن العدو من اسـتغلال قوته النارية المتفوقة، مما يحسم المعركة لصالحه فيكون درسـا قاسـيا لباقي العراقيين لا سمح الله.

ب - في العالم الإسلامي

خَلَّفَ الاحتلال الصليبي للعراق هزات ارتجاجية ضخمة في أنحاء العالم الإسلامي، لكن تصـرف وجهـاء الأمـة إزاء الوضـع الجديـد لـم يـرق فـي الغالب إلى مستوى التطلعات. فباستثناء أنصار الجهاد الذين تنبهوا قبـل الجميع للمخططات الصليبية الرامية لغزو أرض الإسلام وأعدوا إثر ذلـك العدة لقتال الصليبيين، عجزت معظـم مكونـات الطيـف الإسـلامي عـن التعامـل الجـدي مـع هـذه الحـرب الشـاملة، وطلبـت عوضـا عـن ذلـك السلامة والركون إلى وعود الطواغيت وسدنتهم، أو فضلت اتباع سياسة النعامة لعل التحديات تتلاشى لوحدها. وكان من المؤسـف بعـد سـقوط بغداد أن أكثر التحليلات والآراء التي صـدرت إمـا تبكـي علـى الأطلال أو تتلذذ بجلد الذات، وحتى إذا قرر أحـدهم الكتابـة لتقريـر مـا يجـب فعلـه تجاه المصيبة التي ألمت بأمة الإسلام، تجد أن الحلول المنعوتة خائرة لا تجدي نفعا مع ألين الأعداء بله عن أكثرهم حقدا وتصميما.

إن أمريكا والكيان الصهيوني لن ينـام لهمـا جفـن حـتى يقضـيان علـى الحركة الإسلامية كلها "متطرفها" و"معتدلها"، "صـقورها" و"حمائمهـا"، فلا داعي إذن للهـروب مـن الواقـع وليشـمر الجميـع عـن سـواعد الجـد والجهاد.

وعموما يمكن القول أن واقع احتلال العراق أفرز الأمور التالية :

- **الحرب الشاملة لا تُجَابَهُ إلا بالحرب الشاملة**

لقد أججت أمريكا حربا صليبية شاملة ضد أمة الإسلام وسعت لاحتلال أفغانستان ثم العراق ولم تكد تثبت أقدامها حتى سال لعابها لغزو مناطق إسلامية أخرى. وأمام هذا الهجوم العسكري والسياسي والاقتصادي والنفسي والإعلامي والعقدي الشامل، لم يعد هناك حد في المعركة بين المسلمين وأمريكا، بمعنى أنه لم تعد هناك عوائق معنوية تحول دون استهداف أمريكا عسكريا وسياسيا واقتصاديا ونفسيا وإعلاميا وعقديا في أي زمان أو مكان. ومن ثم فإن هجمات الرياض والدار البيضاء[1] - بغض النظر عما إذا كان تنظيم القاعدة مسؤول عنها أم لا – ما هي إلا تجليات للحرب الشاملة المضادة التي من المفروض شنها ضد التحالف الاستعماري "الصهيوصليبي".

- **ضرورة فهم السنن الكونية في التغيير**

رغم اختلاف منطلقاتهم إلا أن كل الدهاة القدامى والجدد من أمثال كلاوزفتز (Clausewitz) ونابليون (Napoleon) وليدل هارت (Liddell Hart) وماو (Mao Tse Tung) مجمعون أن الاستراتيجية لا تكون مجدية إلا إذا قامت على أساس ***التغلب على قوة وإرادة العدو في خوض الحرب***. ومعلوم أن هذا الأمر لا يكون إلا بمزج العاملين العسكري والنفسي في الحرب ضد العدو، وبهذا فإن كل الحلول السلمية والسلبية التي يرفعها أصحابها كبديل لمواجهة تحديات الحملة الصليبية ما هي إلا مجرد سفسطة وهراء. والأحرى بهؤلاء أن ينكبوا على دراسة الكتب التي تعنى بتحليل ظاهرة الحرب من القديم إلى الحديث، وينكبوا كذلك على دراسة ظواهر الاستعمار والثورة لربما يستوعبوا ما لم يستوعبوه إلى حد الآن من أنه لا مفر من الحل العسكري، وأن كل ما عداها من الأعمال الأخرى ما هي إلا تكملة لهذا الحل وإعانة عليه.

- **الدعوة الإسلامية ودورها في شحذ الهمم**

[1] - لمعرفة ثنايا هذه العملية انظر مقال: مجدي أحمد حسين، "على حكام العرب أن يخرسوا.. وعلى الناطقين باسم الإسلام أن يتقوا الله: ضربة **الدار البيضاء** لا تقل في أهميتها عن ضربة **الرياض**"، جريدة الشعب المصرية، 23/05/2003.

إذا كان افتقاد التجربة الجهادية عامل مشترك لدى أغلب الدعاة، فـإن هذا لا يعني القعود والتملص من المسؤولية التاريخية، وإنما يجب عليهـم تفعيل إحدى الوظائف الهامـة الـتي تؤديهـا الـدعوة الإسـلامية، ألا وهـي شحذ همم المسلمين وتحريضهم على الجهاد والمقاومة، خاصة في هذه الظروف العصيبة التي تمر بها الأمة الإسلامية، والتي كشفت عن تواطؤ سافر لأعداء الأمة من صليبيين ونخب حاكمة مرتدة.

- **تأسيس الأفعال والابتعاد عن ردود الأفعال**

لا شك أن المجاهدين في كل بقاع العـالم يحـاولون منـذ زمـن طويـل تحويل ميزان القوى لصالح أمة الإسلام في بيئة دولية لا تؤمن إلا بالقوة، ولذلك فإن أفعالهم متناظرة مع تحليلهم للصـراع. والمؤسـف أنـه حيـن انتفضت أمريكا بعد ضربة الرياض التي قضت علـى زبـدة الاسـتخبارات الأمريكية (كانت تستعمل غطاء شـركة فينيـل) قـامت قائمـة آل سـلول وسـدنتهم، ثـم مـا لبـث بعـض الـدعاة أن اسـتُفِزُّوا بالضـغوط العلمانيـة فقاموا بردود أفعال سلبية اتجاه العمل الجهادي دون التفكير الجدي في حال ومآل تلك المواقف الجبانة. بـل نسـي هـؤلاء أن الإجمـاع العلمـاني إجماع باطل، وأن الحق يكمن دوما في مخالفته، وأن الصواب عند أهـل الثغور، ولن يفتخر تاريخ أمتنا إلاّ بأمثال صلاح الدين الأيوبي ونـور الـدين زنكي وسيف الدين قطز الذين رفعوا رايـة الجهـاد فـي وجـه الصـليبيين ولم تهدأ الأرض تحت أقدامهم حتى دحروا الاحتلال.

خاتمة

إن العوامـل الاسـتراتيجية والسياسـية والاقتصـادية الـتي تلـت احتلال العراق لا تصب في مصلحة الصليبيين، وبالتالي فإن السِّلْم المثالي الذي كانت تحلم به أمريكا لم يتحقق.

العجرفة الأمريكية - كما هو الشأن بالنسـبة للكيـان الصـهيوني - تصـد عن استيعاب الدروس المفيدة. فقد ظُلِمَ الشعب الفلسطيني فمـا لبـث أن هب إلى المقاومة ثم إلى الجهاد وأقام توازن الرعـب مـع الصـهاينة، واضـطُهِد الشـعب اللبنـاني فثـار وأذاق الأمريكيـين الـويلات فـي لبنـان وخارجه، ونُكِّلَ بالإسلاميين في العالم العربي فهبـوا إلـى الجهـاد أفواجـا وحرمـوا أمريكـا وأذنابهـا مـن النـوم الهنيـء، وهـاهي أمريكـا تتحـرش بالشعب العراقـي وتـدنس حرمـاته وتعبـث بخيراتـه، والتاريـخ لا محالـة سيكرر نفسه مرة أخرى .

لقد جاء الرد الإسلامي على هذا الغزو الصليبي منطقيـا ومتماشـيا مـع قوة العـدوان، فتصـاعد المقاومـة داخـل العـراق وخـارجه نتـاج طـبيعي للحملة الصليبية الشاملة، لأن الأمة الإسلامية لن تقبل أبـدا بهـذا الوضـع رغم أنف أمريكا وبيادقها. ♦

إن المفارقة العظيمة والفاضحة لسياسة أمريكا وللعالم أجمع هو موقف كوريا الشمالية التي اعترفت أمام العالم بامتلاكها لأسلحة الدمار، إضافة إلى أنها مصنفة ضمن محور الشر مثلها مثل العراق، فضلا عن تهديدها الجدي باستعماله ضد العدو الأمريكي، فماذا كانت النتيجة إذن؟ الدعوة إلى الحوار السلمي؟!!! ألا يعتبر هذا مبررا كافيا لعدم التعاون مع العدو وتقديم كل التسهيلات له من أرض وجو وبحر وطعام...؟ سؤال نطرحه على الأنظمة العميلة في كل من مصر والسعودية وقطر والكويت...؟ وعلى كل المتعاونين معها من أحزاب وحركات "إسلامية" و"علماء ومفكرين وسياسيين وإعلاميين" وغيرهم؟ ألا يعتبر هذا الموقف لوحده سببا في محاربتها (أي الأنظمة العميلة) وإزالتها؟

كما يدخل في هذا السياق آل صهيون وأمريكا وبريطانيا، والسؤال: أحلال عليهم وحرام علينا؟ وإذا كان الجواب بنعم فماذا يعني ذلك بالنسبة لنا نحن معشر المسلمين؟ ألا يعتبر العدوان على العراق واحتلاله حلقة من حلقات الحرب صهيوصليبة ضد الأمة الإسلامية؟ وإذا كان الجواب بنعم فماذا ننتظر؟ وإلا متى يستمر هذا الإذلال؟ وأين عقيدة التوحيد والولاء والبراء ووحدة الأمة؟ أم هي مجرد شعارات جوفاء؟ لماذا إذن نبيع قضايا أمتنا من أجل مصالحنا الضيقة؟ أو إرضاء لغرائز ونزوات الطواغيت العربية؟ من الأفضل لنا في الدنيا والآخرة؟ أليس الوقوف مع قضايا أمتنا العادلة وتحمل مسؤولياتنا الشرعية

والسياسية وتبعاتها أشرف وأكرم لنـا؟ سـؤال نـتركه للقيـادات الفكريـة والحركية والسياسية والعلميـة، إنهـا رسـالتنا الواضـحة إلـى جمـع كلمـة الأمة وتوحيدها، فهل من مستجيب؟؟؟

** الاسـتمرار فـي تنفيـذ سياسـة الإرهـاب والقتـل فـي حـق الشـعب الفلسطيني لإرغامه على الاستسلام، لأن ذلك يعتبر من الثوابت الفكرية والسياسية والاستراتيجية لدى الصهاينة الأشرار، فهم يسعون باسـتمرار لزرع فكرة "أسطورة الجيش الذي لايقهـر" ونـزع فـي المقابـل عقيـدة الجهاد والاستشهاد/مضادهم الحيوي، وإقناع الشعب في نهايـة المطـاف إلـى التسـليم بعـدم جدوائيـة المقاومـة، وأنهـم لـن ينـالوا أي مكسـب سياسي من خلالها كما وقع للأنظمة العميلة والسلطة الفلسطينية، وهذا ماقاله "يوسي بيلين" أحد مهندسي أوسلوا وقادة اليسار الصهيوني فـي محاضرة له أمـام طلبـة جامعـة تـل أبيـب يـوم 15/06/2001: " أن اتفـاق أوسـلوا مثـل اتفاقيـة كـامب ديفيـد مـع مصـر واتفاقيـة وادي عربـة مـع الأردن، حيـث لـم يتـم التوقيـع عليـه إلا بعـد أن أدرك العـرب أن خيـار المفاوضات هو الخيار الأوحد الذي يمكن أن يعود بالنفع عليه، وأنهـا فـي المقابل لا يمكنها إلا أن تخرج مهزومة في كل مواجهة عسكرية".

- تقسيم العراق على نحو طائفي عبر صفقات سرية (تهديد، إغراء...) مع المجلس الأعلـى للثـورة الإسـلامية وبعـض رمـوز الحـوزات العلميـة بالنسـبة لشـيعة الجنـوب، والأكـراد العلمـانيين فـي الشـمال، وبعـض العلمانيين مـن العراقيـين المرتبطيـن بالمشـروع "الصهيوصـليبي" فـي بغداد، وهذا هو الذي يفسر التحييد المرحلي لبعض الطوائف في العـراق

وإخراجها من دائرة الصراع مع العدو المحتل، وصمتهم الغريب إزاء جرائمه الوحشية ضد الشعب، ومباركتهم/خيانتهم للاحتلال والتعاون معه بدل مقاومته...، وأما التصريحات الخطابية المضللة التي يتم إلقاؤها مثلا في بعض المهرجانات الفلكلورية (نموذج باقر الحكيم) فلا تتجاوز ما اصطلحنا عليه بـ"التنديد المرخص" قصد التنفيس والتمويه، لكن لا ترتقي إلى طرح مشروع المقاومة، لأنه يشبه إلى حد ما سياسة الحياد/الخيانة التي تنهجها إيران وسوريا، أي سياسة الثور الأسود، مما يعزز كل الاستفهامات حول الدور السياسي لشيعة العراق في الاحتلال الأمريكي وعدوانه على شعبنا العراقي، وأيضا في إعاقة نهضة المجاهدين ومقاومتهم للعدو...، والنموذج دائما إيران المنافقة التي تعتبر الراعي والمثل والموجه لهم، والسؤال إلى متى ستبقى أمتنا مضللة ومخدوعة بشعاراتهم الكاذبة المكشوفة والمتواترة؟

ثانيا- واقع الأنظمة الرسمية:الرهان الخاسر

إن الثابت السياسي لدى الأنظمة الرسمية العميلة هو تناقضها/عدواتها الصارخ مع شريعتنا السمحاء، وعدائها المطلق للشعوب العربية والإسلامية وقضايا الأمة في كل من فلسطين والشيشان والعراق وأفغانستان...، وولائها/عمالتها للمشروع الصهيوصليبي بدرجات متفاوتة، أي بمعنى أن الفرق بينهم في الدرجة والأسلوب المتبع في المحافظة على المصالح الشخصية الضيقة وليس في الأصول التي ذكرناها (محاربة الإسلام والمسلمين/المجاهدين، عدائها للشعوب وقضايا الأمة الحيوية، الولاء للأعداء)، ويمكن تجلية هذه الحقائق من خلال النماذج/المدارس التالية:

أ - الامتناع ثم الانبطاح: النموذج العراقي

إن النظام العراقي كان يعاني من انفصام في شخصيته السياسية؛ وهذا هو الذي يفسر عدم ثباته والتغيرات السريعة والمفاجئة والجذرية في مواقفه، أي الانقلاب ب 180 درجة، لأن عقدته كانت شبيهة بعقدة سلفه جمال عبد أمريكا التي كانت تتجلى في الزعامة القومية التي يريد تمثيلها زورا أمام الشعوب المستغفلة، أي أنه رجل صلب وعنيد أمام الأعداء، ليبرر/ليغطي استبداده على المستضعفين، وبالموازاة دفع بعض المأجورين ممن يحسبون على التيار القومي للترويج لمواقفه وصموده

الوهمي فتنطلي اللعبة على الجميع أو على الأقل يبقى لغزا محيرا لبعض السذج فترتبك وتتردد في فهم حقيقته التي أصبحت متواترة بسبب تراجعاته المستمرة بدءا بالحرب الخليج الثانية ومرورا بالسماح بالاحتلال السياسي والأمني ووصولا إلى الاحتلال العسكري.

إن جوهر سياسية النظام العراقي ومن على شاكلته هو العمالة للأعداء في السر والانبطاح التام لمخططاته، وأن سقوطه راجع بدرجة أساسية إلى انتهاء مدة صلاحيته فتم إحالته على التقاعد السياسي مثل العميل عرفات، لأنه وبكل بساطة لم يعد مناسبا للمراحل القادمة/المستقبل بعدما ضعف واهترأ هو ومنظومته البعثية وسقوط حليفه الروسي، وأن سقوطه وزواله حتمي لكنها كانت مسألة وقت، فضلا عن خطورته الشديدة على بناء الأمة لأن سلوكه السياسي يساهم في تدجين الأمة واستسلامها، ويكفي هذا وحده كدليل على الخدمات الكبيرة والضخمة المقدمة للأعداء...

ب - قصة الثيران الثلاثة وسياسة الحياد/الخيانة: النموذج السوري

إن النظام السوري يعاني هو أيضا من تناقضات عدة في مواقفه السياسية، فهو يريد أن يتظاهر بمظهر السياسي المحنك الذي يحسب جيدا أو هكذا يريد إيهام الشعوب، ويملك من الأوراق (حماس، الجهاد الإسلامي، الحدود مع العراق ومسألة المتطوعين، وحزب الله الذي يعتبر ورقة مزدوجة أو أكثر...) ما يؤهله للتفاوض مع الأعداء والحفاظ على ذاته.

إن سياسته أشبه إلى حد ما بسياسة الثعلب؛ ذلك الحيوان الضعيف المعروف بالمكر والخديعة الذي يحاول جاهدا البحث عن الفريسة/الورقة ليستخدمها في الوقت المناسب عندما يصبح وجوده مهددا، لكن في نهاية المطاف سيكون مصيره شبيها بمصير الثور الأسود الذي نهج سياسة الحياد/الخيانة اتجاه أخيه الأبيض ما دامت مصالحه الآنية/اليوم لم تمس، لأنه لم يكن يملك بعد النظر، وهذا هو سلوك التجار والمرتزقة والأنانيين أي أصحاب النهج الغريزي.

وعليه فإن تركيزنا على جوهر سياسة النظام السوري كانت بهدف تبصير الأمة وتمكينها من الأدوات/المعيار اللازمة (الموقف من الإسلام، ومن شعبه وقضايا الأمة، ومن الأعداء) لقراءة مجموعة من الممارسات التي يقوم بها؛ كالسماح فجأة للمتطوعين العرب من عبور الحدود ثم الانقلاب عليهم، وأيضا احتضانه لمكاتب حماس والجهاد الإسلامي، ثم

إغلاقها استجابة للأوامر الصهيوصليبية، وللحفاظ على ماء الوجه أمام الشعوب المستغفلة تقدمت الفصائل العشر بتجميد نشاطها الإعلامي من تلقاء نفسها كما ادعت، قطعا للطريق على أمريكا ورفعا للحرج عليه، وأما حزب الله فأمره يختلف عن الباقين لأنه مرتبط عقديا واستراتيجيا بإيران الحامية له، أو لنقل بعبارة أدق ورقة إيران بدرجة أساسية قبل سوريا، لأن ذلك لا يدخل ضمن قناعته القومية، بل مجرد أوراق/أرصدة تستخدم وقت الحاجة، وما تجربة المتطوعين العرب وإغلاق الحدود وتسليم البعض منهم ببعيد...

ج - الوسيط الصهيوصليبي: النموذج المصري

إن النظام المصري بتوقيعه لاتفاقية كامب ديفيد مع العدو الصهيوني خرج كليا من قضايا الأمة والصراع مع العدو، وبقبضه للرشاوى الأمريكية أصبح عرابا للسياسة الصهيوصليبية، ونفس الحكم ينطبق على النظام الأردني والمغربي...

إنه من أخطر الأنظمة على الأمة التي يجب اتخاذ كل التدابير الوقائية والأمنية والسياسية والاجتماعية اتجاهه، لأنه أصبح من المنفذين الرئيسيين لسياسة الأعداء، فهو وكما يعلم الجميع احتضن في بلاد مصر وعلى وجه الخصوص في شرم الشيخ كل المؤتمرات الخيانية التي كانت ضد أمتنا الإسلامية وقضاياها الحيوية كفلسطين والعراق...، وأما عندما يتعذر تمرير مشروع العدو لأسباب معينة كما وقع مع الفصائل الفلسطينية المقاومة، فإنه يتم الدفع به ليقوم بدور الجاسوس لنقل المعلومات بعدما يتم استنزاف الفصائل في حوارات عقيمة، ويتمكن من قياس حدود قدراتها وآفاقها ونقاط ضعفها وقوتها وخلفيتها ونياتها التي لن يتمكن العدو مهما فعل من الوصول إليها، لكن مع مصر "العربية" وفي إطار حوار الأشقاء الناصحين المحبين/الحاقدين يمكن الحصول على ما عجز عنه العدو، وما تجربة عمر سليمان (مدير المخابرات المصرية) في حواره مع الفصائل الفلسطينية، وكذلك ما حدث مؤخرا مع عرفات بخصوص تعيين الابن المذلل للصهاينة "دحلان" منا ببعيد، حيث تم الضغط عليه ليقبل بالأوامر الصهيوصليبية، وإلا كيف نفسر تدخله؟

وعليه، فإننا نطرح سؤالا جادا غفل عنه الكثير له علاقة بخلفيات تسجيل المتطوعين المصريين للجهاد في العراق؟ ومن وراء هذا المشروع والأهداف الحقيقية منه؟ إنها السذاجة التي تصل إلى مستوى دور العمالة الموضوعية (بحكم الواقع وليس النيات) للنظام المصري

أي للعدو الصهيوصليبي، لأن السؤال المشروع: هل يعقل حتى في وعي الأطفال أن يقوم عميل/النظام المصري بالسماح للجهاد، وهل تسمح أمريكا بذلك إن لم يكن وراءها ما وراءها؟ سؤال نتركه للأمة، ونقول لها متى ستفيقين من سذاجتك وطيبوبتك المتطرفة؟ وأين هي قياداتك السياسية؟ وما هو دور الأحزاب والحركات؟ ألم تنكشف حقيقتهم؟ وإذا كان الجواب بنعم فماذا تنتظرين؟

د- مفتي العدو الصهيوصليبي: النموذج السعودي

إن نظام آل سعود كان ولا يزال (ليس بنفس القوة بسبب وعي الشعب واكتشاف حقيقته/عمالته) يلعب دوره التقليدي في الإفتاء للعدو الصهيوصليبي عن طريق من يسمون زورا بالعلماء/العملاء (حكمنا على الظاهر وليس على الباطن وهذا هو منهج أهل السنة والجماعة) لإصدار فتاوى مضادة تعرقل المسيرة الجهادية التحررية لأمتنا المباركة سواء في فلسطين بتحريم العمليات الإستشهادية، أو التشكيك في جهاد الأنصار العرب بأسلوب يظهر الخوف والشفقة والنصح والمحبة ويبطن السموم التي تصب في مصلحة الاحتلال، لأن التعاطي معها كان يصب في اتجاه الحملة الصهيوصليبية وليس في صالح الأمة، بحيث لم تكن معالجتهم موضوعية أو شاملة بسبب تركيزها على ما تم تضخيمه وترويجه في وسائل الإعلام العربية/العميلة كبعض النواقص/نقاط ضعف التي شابت تجربة بعض المتطوعين الذين تحمسوا للجهاد دون امتلاكهم لقناعات عقائدية وسياسية لكي يستروا عوراتهم العقائدية والشرعية والسياسية...، ويبرروا لخيانة النظام ولتقاعسهم وجبنهم، ونفس الأمر وقع مع عملية الرياض الأخيرة التي استهدفت الأمريكيين.

إن النظام السعودي يرتكز في سياسته على الشرعية الدينية عن طريق بعض علماء السوء كما كان يسميهم سلفنا الصالح، وعلى تمويل بعض المشاريع الخيرية من خلال بعض الإسلاميين قصد اختراقها ليتم في نهاية المطاف احتوائها والتحكم في أصحابها ونشاطاتها وتضمن أيضا دورا ما في الأحداث الجارية، أو غطاء لإجرامه وعمالته، أو في أسوء الأحوال يضمن تزكيتهم له عند أمتنا الإسلامية فيرتبك من في الداخل حول حقيقته، وتعتبر مبادرة الأمير عبد الله بخصوص التطبيع مع آل صهيون مثالا حيا، حيث لم ترتفع أصوات مجموعة من المحسوبين على الإسلام في الداخل والخارج المنددين دوما بعمليات المجاهدين على خيانته العظمى، وكذلك الضغط على حماس من أجل المصالح

الصهيونية، والتنديد الأخير لحركة الإخوان المسلمين بعملية الرياض المباركة .

هـ - الملحقة الصهيوصليبية: النموذج القطري

إن النظام القطري تمت صياغته أو حاول لصياغة ذاته ليتكيف مع دوره الجديد في أن يصبح ملحقة للعدو الصهيوصليبي، ومحرضا للأنظمة الرسمية (السعودية، مصر...) لكي تتحرك أكثر في خدمة العدو حتى لا يصبح موقعها أقل منه فيتم تجاوزها، بل وشن حملة دعائية ضدها والضغط عليها من خلال قناة الجزيرة، التي أثبتت الأحداث أن مساحة الحرية المتاحة لها لا تعني خروجها عن إرادة أعداء الأمة، خاصة في المواقف الحرجة التي تتطلب استقلالية كاملة وصلابة في القرارات التي تمليها المهنية، وخير دليل على ذلك تواطؤها وانسياقها وراء الإرادة الأمريكية عند تغطية أحداث الغزو الصليبي لبغداد، فما قام به بعض مراسيلها كماهر عبد الله - مثلا وليس حصرا - كان مثالا للخيانة في اللحظة الحرجة من الصراع، عبر تغطيته المشبوهة والمنحازة للعدو الأمريكي، من خلال المساهمة في الحرب النفسية بالتكتم على العمليات الجهادية والترويج لمشاعر اليأس، إضافة إلى مصافحته أمام الكاميرا لقتلة الشعب العراقي المسلم.

إن جوهر سياسة هذا النظام العميل (النظام القطري) هو الترويج للمشروع الصهيوصليبي عبر تقديم نفسه كنموذج ليست له مشاكل داخلية، ويتمتع شعبه بالحرية وببحبوحة العيش بسبب استسلامه المطلق للعدو اليهودي والأمريكي. ومن تم يصبح هو عبارة عن مثال يغري أصحاب الغرائز بالإقتداء، وكم من مغفل ساذج ما زال مخطئا ومضللا بشأن حقيقته وحقيقة قناة الجزيرة التي يجب أن لا نطمئن إلى ولائها للأمة الإسلامية ولا حتى إلى مصداقيتها أو مهنيتها، لأنها رغم حسناتها (البرامج الحوارية) التي تريد أن تغسل بها خيانتها في التغطية الإخبارية، فإنها تبقى ذات سقف منخفض على مستوى الحرية في تناول المواضيع المصيرية وعلى مستوى الشفافية اللازمة في المواقف الحرجة.

إن قناة الجزيرة لا يمكن أن تتجاوز أو تقطع الخيط مع المجاهدين وتستغني عن التقديم لهم، لأنها عبر ذلك تضرب عصفورين بحجرة واحدة، الأولى تحافظ بها على تميزها ومصداقيتها/تضليلها أمام الشعوب العربية وهذا الأمر حيوي واستراتيجي بالنسبة للمشروع الصهيوصليبي (وهذا طبعا لا يعني أنه لا توجد حسنات)، والثانية مرتبطة بحاجة العدو

في معرفة جديد المجاهدين وأخبارهم وهذه القضية أساسية ومهمة في عمله الأمني والاستخباراتي.

ثالثا - الحركة الإسلامية والفرصة الجديدة:

إن الحركة الإسلامية طالما دبجت أدبياتها بعقيدة التوحيد والولاء والبراء والجهاد وإقامة الدولة الإسلامية وتحرير أراضي المسلمين والقضية الفلسطينية، ومحاربة الصهاينة الأشرار (والأمريكيين الذين يدعمونهم) الذين تغلغلوا في بلادنا وأصبحوا يتحكمون بقراراتها، حيث تجد أصابعهم الخبيثة في مؤسساتنا التعليمية والثقافية والسياسية والاقتصادية، مما يشكل معوقا جديا أمام تنفيذ تعاليم ديننا وتطبيق ما طعمت به تلك الأدبيات..

لكن يشاء الله سبحانه وتعالى إلا أن يقيم حجته البالغة على المسلمين باحتلال العراق وغيرها من البلاد العربية والإسلامية (فلسطين، الشيشان، أفغانستان...) ، ويقدم لهم فرصة تاريخية جديدة لإعادة زمام المبادرة، وتطبيق المناهج والمواثيق التي تأسسوا وتربوا نظريا عليها، والتي تعتبر مبرر وجودهم في هذه الأرض وإلا فإنهم سيدخلون في دائرة من التناقض الذي يقود إلى سلسلة من التنازلات تفقد الجماعة هويتها الإسلامية، وتقلبها بفعل تراكمها إلى أداة طيعة في يد الأنظمة الطاغوتية الجاثمة على صدر الأمة، وإلى لبنة في البناء التنظيمي للدولة العلمانية، يسمح لها في أفضل الأحوال بأداء دور الواعظ الديني الذي يعمل على التهذيب الروحي للمجتمع (عمل الكنيسة)، أو دور الجمعية الخيرية التي تستغل في ترميم جوانب النقص الاجتماعي في المشروع العلماني الذي تجهز قيادته الطاغوتية على مقدرات الأمة وخيراتها المجتمعات.

المهم كما جعل الله نهاية الاتحاد السوفياتي (والمنظومة الماركسية الإلحادية وذيولها في منطقتنا العربية والإسلامية) على يد المجاهدين الأبرار في أفغانستان؛ لما استدرجهم بمشيئة الله إلى الدخول في المستنقع الأفغاني مصداقا لقوله تعالى: {وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} (الأنفال:30)، مما وفر جهدا كبيرا على المجاهدين بسبب قربه وسهولة استهدافه، فإنه قد ساق الأمريكيين إلى بلاد العراق ليبتلي الله المسلمين بهم، ولينظر من خلال هذا الابتلاء إلى الصادق في دعوى "الجهاد سبيلنا" و"الموت في سبيل الله أسمى أمانينا" من الكاذب. وقد قال تعالى: {ولو شاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض}.

وعليه، فإن الاحتلال الأمريكي للعراق يعتبر فرصة جديدة للحركة الإسلامية من أجل تفعيل مناهجها واستهداف عدوها العقدي والسياسي والتاريخي، فهو الآن بقربها وأمامها وأتى برجله إليها، فماذا تنتظر؟ ألا تريد أن تنال شرف إسقاط فرعون العصر وتخليص الأمة الإسلامية والعالم بأسره من ظلمه واستبداده وجبروته وطغيانه؛ إنها رسالة الإسلام في تحرير الناس وتعبيدهم لرب العالمين.

إن احتلال العراق يجب أن ينظر إليه بهذه الطريقة، إنها الرؤية الإيمانية التي تختلف جذريا عن الرؤية المادية العلمانية الكافرة، فالعدو الصهيوصليبي يسعى بجد لاستثمار الواقع الجديد من أجل التمكين لمشروعه؛ فهو يتحرك ليل نهار ويستخدم كل إمكانياته المادية والسياسية والإعلامية والعسكرية والأمنية...، ونحن أمام فرصة تاريخية لتحويل احتلال العراق (وغيرها من البلاد العربية والإسلامية) إلى منطلق استراتيجي لتحرير كل البلاد العربية والإسلامية وإقامة الخلافة الإسلامية بإذن الله، لأنه تسبب في انهيار مجموعة من المؤسسات الدولية والإقليمية (مجلس الأمن، الأمم المتحدة، الاتحاد الأوروبي، الجامعة العربية، المؤتمر الإسلامي...)، بحيث لم تعد لها أي قيمة أو تأثير في السياسة الدولية/الأحداث الجارية، وهذا في صالح الحركة الإسلامية، لو أنها قررت حقا قيادة الأمة في مسيرتها التحررية، واتخذت كل فصائلها خط الدعوة والجهاد (خط الطائفة المنصورة) للذود عن كرامة الأمة، واستغلال المقدمات موضوعية القائمة من أجل تحقيق حلمنا الشرعي والتاريخي والواقعي لتطبيق ديننا واسترجاع مجد أمتنا المباركة والمنصورة بإذنه سبحانه وتعالى.

رابعا - معوقات انطلاق المسيرة الجهادية التحريرية المباركة:

لكي توظف الفرصة الجديدة/احتلال العراق وتستثمرها في تحقيق أهدافها السياسية الشرعية والتمكين لدينها، يجب على الحركة الإسلامية أن تتخلص من المعوقات التالية:

أ - الطفولة المستديمة:

وتتمثل بشكل رئيسي في بعض "الحركات الإسلامية" وطبقة من "العلماء" الذين يرتبطون مصيريا بالأنظمة العميلة، وأيضا بالأفكار والعقائد المستوردة التي ينتظر أصحابها دوما الإشارة للقيام بأعمال معينة أو إعلان مواقف...، والمؤسف أنهم وحتى في أمور الأمة

المصـيرية (إقامـة الـدين، قضـية فلسـطين والعـراق والشيشـان وأفغانستان...) لا يمكن لهم أن يتجاوزوا أطرهـم التقليديـة ومؤسسـات الحكم العميلة (المحتلون بالوكالة).

فمثلا الحركات الاستسلامية " أنصار البيعة المطلقـة للحـاكم العميـل" وليس أنصار الديمقراطية كما يدعون؛ لأنها بريئـة منهـم رغـم تمسـحهم بها أما الإسلام فأرى أنهم لا يستحقون شرف الانتماء إليه، وفي مقدمتها حركة "الإخوان المسلمين" التي رغم مرور أزيد من سـبعة عقـود علـى وجودهـا لا زالـت تعـاني مـن مـرض مزمـن يمكـن الاصـطلاح عليـه بـ"الطفولة المستديمة"، فهي مثلا ترفع شعار "الجهاد فـي سـبيل اللـه" كاستراتيجية واحدة للتصدي للمحتلين سواء في العـراق أو فلسـطين أو غيرها من بلاد المسلمين، لكنها عوض أن تبدأ عمليا في تجسـيد الشـعار وتصنيعه عبر برامج تفصيلية، نجـدها تلتجـئ دائمـا إلـى الحكـام العملاء/ أعداء الله من أجل تطبيقه، أو السماح لها بتطبيقه عبر استصـدار فتـوى من أسياد حكامها/العدو الصهيوصـليبي، أو مشـاركتها ومسـاعدتها علـى تنفيذه، والسؤال هل يعقل هذا المنطق؟.

إن منهج حركة الإخوان المسلمين مرفوض شـرعا وعقلا وواقعـا؛ لأنـه أولا غير مقبول من الناحية الشرعية أن تستأذن في قضية/الجهاد تعتقـد وتقول أنها في سبيل الله الحكامَ العملاء الذين لا يؤمنون بهـا، أو تنتظـر منهم المشاركة بشكل من الأشكال مـا دام الجهـاد ليـس فـي سـبيلهم، وثانيا لا يعقل أن يسمح لك الحكـام بالجهـاد ضـد أوليـاء نعمتهـم؛ الـذين يقدمون لهم الرشاوى ويساعدونهم على جرائمهم ضد شعوبهم...، وثالثا الواقــع خيــر شــاهد علــى عمــالتهم وارتبــاطهم المصــيري بالعــدو الصهيوصليبي؛ ويكفي منعهم حتى من مجرد التضامن بالصـياح والعويـل والبكاء والتوسل في الشوارع ضد الأعداء فما بالـك بالجهـاد واسـتخدام القوة ضدهم.

وعليـه، فـإن السـؤال المشـروع: إلـى مـتى سـتكبر حركـة الإخـوان المسلمين - ومن على شاكلتها - وتعتمد على نفسها في تدبير مـا تـؤمن به من دعوة وجهاد وغيره من المفردات الإسلامية؟ أم أنها النشء الـذي لا يكبر؟ وإذا كان الجواب بنعم فما فائدة قيادتها؟ أي ألم يكن من العقل والمنطق أن تلتحق رسميا بمن تطـالب الشـرعية والإذن منهـم؟ ولمـاذا هذا التضليل والالتواء؟ أم أنها عقدة زعامات ومصالح شخصية؟

وبالمناسبة فإننا لا نعرف لحد الآن الأسباب التي دفعت بحركة الإخوان المسلمين المصرية للتنديد بالعملية الجهادية التي نفـذت فـي الريـاض؟ ولا لماذا تحشـر أنفها في أمـر بعيـد كـل البعـد عنهـا؟ ألـم تلتفـت إلـى الإرهاب الذي يمارسـه أوليـاء أمورهـا (الأنظمـة العميلـة)؟ ولمـا لا تنـدد

بإرهاب هذه الأنظمة ومن وراءها من الأمريكان والصهاينة؟ هل "تعاليم الشريعة السمحة" تجوز التنديد بالجهاد والمجاهدين في حين تدعو إلى مؤازرة الأنظمة العميلة؟ أم أنها رسالة ود وتملق لنظام آل سعود ومن وراءه؟!!! سؤال نتركه للأمة؟

كما يدخل في هذا السياق "سلفية آل سعود" ومن على شاكلتها، الذين ترتفع أصواتهم ضد المجاهدين فقط، أما الأعداء فأصبحوا يمارسون دور المحامي عنهم، وكاسحات للألغام/عقيدة الجهاد والاستشهاد التي تستهدفهم، أي أدوات طيعة يحركونهم متى شاءوا...

ب - القبليات السياسية:

إن سياسة "فرق تسد" التي نهجها المستعمر ضد أمتنا الإسلامية عبر اتفاقية سايكس بيكوا ما زالت سارية المفعول عند بعض المتخلفين من المسلمين، بحيث تجد لحد الآن من يدافع عن القطرية المقيتة، ويفرق بين أبناء الأمة على أساس الأقطار ناسين قوله سبحانه وتعالى لنبيه نوح عليه السلام بخصوص موقع ابنه/رابطة الدم: {قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ} (هود: 46).

إن هذه السياسة دفعت ببعض الحركات الإسلامية إلى التقوقع حول ذاتها، والبحث عن مصالحها الضيقة، بل والوقوع في التناقض بين انتمائها للإسلام وانتمائها للأرض، وبين الوقوف مع الأمة ونصرتها والوقوف مع أنظمتها العميلة، وأيهم الأولى والأهم لها إذا افترضنا جدلا تعارضهما، والجواب طبعا هو وقوفها العملي في صف الحكام وليس الأرض على حساب هويتها الإسلامية، والسبب يعود إلى بعدها الكبير عن المرجعية الإسلامية (كتاب وسنة) في سلوكها السياسي العام، لأنها لو طبقت الدين فإنها لن تقع بتاتا في التناقض، وسوف تقف مع الدين والأرض معا.

إن خضوع الحركات الإسلامية للقبلية السياسية/سايكس بيكو حولها إلى أداة في استراتيجية العدو ضد أمتنا، لأنها تضرب عمق المشروع الإسلامي المؤسس على رابطة الأخوة والإصلاح والولاء والتضامن والتعاون على البر والتواصي بالحق والصبر... مصداقا لقوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} (الحجرات: 10)، وقوله تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (التوبة:

71)، وقوله: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} (المائدة:2)، وقوله: {وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} (العصر:3)، وتساهم في تشرذم الأمة وتمزقها، وهذا من أكبر الأسباب وأعظمها في تخلف المصري عن مناصرة الفلسطيني والسوري واللبناني والأردني... بحجة بدعة العصر "لا نتدخل في الشؤون الداخلية"، أو "عدم الخروج عن تعاليم الحاكم العميل/العدو الصهيوصليبي"، أي لا بد لنا من إذن لتطبيق أوامر ربنا سبحانه وتعالى ورسوله الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام...، وفي المقابل تجد الأنظمة العميلة تتبجح في وسائل الإعلام بتعاونها الأمني مع أعداء الأمة، بل وتتشدد في الحث عليه، ويعتبر انضباط وزراء الداخلية في مواعيدهم وجديتهم في العمل خير مثال، أما بعض المتخلفين من الإسلاميين فيخجلون/يخافون من التعبير على تضامنهم الإسلامي مع إخوانهم في العقيدة والدين.

بناء على ما تقدم، فإن الحركة الإسلامية لن تقوم لها قائمة إذا ما استمرت على نهجها القبلي، لأنه يحرم الأمة من استثمار طاقتها الحقيقية وتوظيفها في سبيل قضاياها العادلة، وأنها سوف تتآكل مع مرور الزمن حتى تنسى أنها وجدت أصلا لخدمة دينها وقضايا أمتها كما هو حاصل الآن في معظم الأقطار، حيث أصبحت جزءا أساسيا من منظومة/بنية النظام العلماني العميل وأحد رموزه وأعمدته، بل من خدامه المطيعين، ويكفي أنها لا يمكن أن تقدم على أي خطوة مهما كانت تافهة إلا إذا أخذت الإذن منه، وكذلك مطالبتها المستميتة في الحصول على الشرعية القانونية، أي على رضائه والخوف الشديد من سخطه، وهذا يعلمه الجميع وهي أيضا لا تنكره.

ج - السلبية القاتلة:

تتجلى في ضعف التفاعل مع قضايا الأمة وغياب روح المبادرة وتحمل المسؤولية الشرعية والسياسية، والذي يرجع بشكل رئيسي إلى الجهل بالأبعاد السياسية والاجتماعية والإستراتيجية والاقتصادية... لمفردات ديننا الحنيف (التوحيد، الولاء، الأخوة، الجهاد، الوحدة...)، أو غياب الإرادة لذلك.

إن السلبية القاتلة هي عنوان عجز هذه الأمة وتقاعسها، لأنها من الأمراض الفتاكة للجسم الإسلامي، ومن المعوقات الأساسية في تطور الحركة الإسلامية وتحقيقها لإنجازات ملموسة على أرض الواقع فيما يخص دينها وهويتها، وليس النجاح في الانتخابات كما حصل لحزب

العدالة والتنمية التركي، أو تنظيم مسيرة معينة من خلال العويل والصراخ والبكاء، أو القيام ببعض المهرجانات الفلكلورية كما يفعل الآن باقر الحكيم (المجلس الأعلى للثورة الإسلامية) في العراق، وهذا من بين الأسباب التي جعلت الحركة الإسلامية تواكلية انتظارية في مسيرتها، وحولتها إلى متفرج بدل شاهد على عصرها، ومن فاعل في الأحداث إلى مفعول به، أي من طرف في الصراع إلى موضوع، مما يفسر سر إحجامها عن النصح وتقديم مقترحات واستشارة من هم خارج قبيلتها السياسية، والاستفادة ممن سبقوها أو تفيد من سبقت، فحرمت من الوحدة والتنسيق والتعاون ووقعت فيما حذر منه رسولنا العظيم عليه افضل الصلاة والسلام: "لا يلدغ المؤمن من الجحر مرتين".

خامسا - مهام المرحلة: إقامة جبهة إسلامية عريضة

يكمن في تحرير البلاد العربية والإسلامية، وإعادة كرامة الأمة وشرفها، والنهوض بها من رماد الانكسار، وتحويل تضامن الحركات الإسلامية مع قضايا أمتها إلى قوة فاعلة ضاربة في الأرض؛ سواء بالوحدة أو التنسيق أو بأي شكل من أشكال التعاون، أي بمعنى استلهام درس المعتصم (كان يوجد في بغداد) "الذي استجاب لنداء امرأة مسلمة وهي بعمورية أنقرة عندما قالت: "وامعتصماه" فقال لها: لبيك يا أمة الله ولبس لأمته وعبأ جيوشه وذهب لتحريرها من الأسر، وضم تلك الرقعة إلى الدولة الإسلامية"، وتطبيقه في حدود قدراتنا، وهذا ليس بالمستحيل بل يمكن القيام بأكثر من ذلك، أي التأثير في بنية النظام العالمي وتركيع كل متطاول على أمتنا، وأخذ المكانة اللائقة في الخارطة السياسية العالمية بسبب المعطيات الواقعية التالية:

- **عقيدة الإسلام**: انتشار الدين الإسلامي في كل أنحاء العالم، وقدرته على استقطاب عناصر جدد رغم ما أصاب الأمة من ضعف وهوان.
- **الموقع الجغرافي**: تواجد الحركات الإسلامية في مناطق تعتبر بالمعايير الاستراتيجية والحضارية من أكثر الأراضي أهمية، حيث لا يمكن الاستغناء عنها، وهذا من بين الأسرار التي جعلت الغرب يغرس السرطان الصهيوني في قلب الأمة العربية والإسلامية، وأيضا التواجد العسكري الصليبي في كل من السعودية وقطر والكويت والعراق وتركيا...

- **القوة البشرية**: التي نجدها منتشرة على طول وعرض كـل البلاد العربية والإسلامية...

وعليه، فإن درس المعتصم يعلمنا بأن الدفاع عن أبناء الأمة وقضـاياها (نموذج استنجاد المرأة المسلمة) مـن الأبعـاد الرئيسـية فـي الشخصـية الإسلامية السياسية السليمة، وترجمـة عمليـة لحـديث رسـولنا العظيـم عليه أفضـل الصـلاة والسـلام: (مثـل المـؤمنين فـي تـوادهم وتراحمهـم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى من عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر)، أي لجسد الأمة العقدي والسياسي، حيـث إذا اعتـدي علـى أي مسـلم فـي العـالم فـإن الأمـة بأسـرها تتـألم لحـاله وتتحـرك لنصـرته، ومعايشة حقيقية لمعنـى الأمـة الإسـلامية علـى أرض الواقـع، وأن عـدم الاهتمام بما يقع لأمتنا يعتـبر انحرافـا علـى منهـج رسـولنا العظيـم عليـه أفضل الصلاة والسلام وسيرة سلفنا الصالح، ويؤدي بصاحبه في النهايـة فردا كان أو جماعة إلى التسليم بترتيب الأعداء لصورة حياتنا، والارتمـاء في أحضان المشاريع المعادية.

لذا يجب على الحركة الإسلامية بشـتى فصـائلها وتنظيماتهـا المختلفـة أن تتحمل مسؤولياتها الشـرعية والواقعيـة والتاريخيـة فـي إقامـة جبهـة إسلامية عريضة، وذلك لأنها:

1 - الترجمة العملية والتعبير الصادق على وحدة مصير الأمة، والصورة الحقيقية للجسم الإسلامي الموحـد الـذي يقـف مـع قضـاياها المختلفـة، والداعم الرئيسي لكل الحركات الإسلامية في مشـارق الأرض ومغاربهـا علـى كافـة المسـتويات السياسـية والإعلاميـة والحقوقيـة والثقافيـة والاستراتيجية.

2 - الحكومـة الإسـلامية العالميـة للحركـة الإسـلامية، ونـواة للخلافـة الإسلامية المرتقبة، أي واجب مرحلي يتناسب مع مرحلة الحركة وليـس الدولة/الخلافة، وخطوة إجرائية لتجسـيد مفهـوم الخلافـة ووحـدة الأمـة والتـدريب السياسـي والإداري عليهمـا، فضـلا علـى أنهـا تربيـة فكريـة ونفسية وروحية عليهما.

3 - أداة رئيسـية للـدعوة والجهـاد فـي سـبيل اللـه فـي ظـل العولمة/الأمركة، وعبرها يتم الموازنة بين القطرية والعالمية، والتكامـل بين كل أشـكال التغييـر والمواجهـة حسـب الموقـع والمـدور والتخصـص، ليكون التحرك واحدا يصب في مصلحة أمتنا الإسلامية.

4 - من مقتضيات المرحلة الصعبة التي تمر منهـا أمتنـا، حيـث تكـالب الأعداء عليهـا، وضـرورة توحيـدها وتنميـة طاقتهـا وتحويلهـا إلـى جيـش إسلامي عالمي، يضرب بأيادي من حديد كـل مـن تجـرأ علـى أي مسـلم في العالم.

5 - ضمن المسؤولية الشرعية والسياسية الملقاة على عاتق الحركة الإسلامية، لاسيما بعدما أصبحت فاعلا سياسيا دوليا يؤثر في الخيارات السياسية والأمنية والإستراتيجية العالمية، ورقما صعبا في المعادلة السياسية الدولية.

6 - البرنامج السياسي الذي يخطط لمستقبل الأمة، والسبيل لإعادة كرامتها وتحررها وحفاظها على دينها بامتداده الوجداني والعملي والدولي.

7 - ملء الفراغ السياسي الذي تعانيه أمتنا، حيث تفتقر إلى وحدة الكلمة، فضلا عن دورها الكبير في شمولية الحركية الدينية للأمة، والإقدام على التصدي لواقعها وقضاياها من خلال مسار إسلامي جديد، يهدف إلى إيجاد المشروع الإسلامي القادر على استيعاب المرحلة وترجمة المبادئ الإسلامية إلى واقع ملموس.

8 - العملية الجراحية لبتر الأورام الخبيثة وإزالة السموم العقدية والفكرية والسياسية (الطفولة المستديمة، القبلية السياسية، السلبية القاتلة...)، وإيقاف العجز والضعف الذي أصبح منتشرا في الجسم الإسلامي.

9 - حجر الزاوية في أي تحرك في وجه الضعف والتمزق والانحطاط...، وأيضا في جهاد العدو وتحرير الأمة.

10 - الممثل العام للحركات الإسلامية التي تمنحها الامتداد الشامل المنفتح على كل مواقع الأمة، والذي تعجز أي حركة مهما كان حجمها القيام به، كما تفتح المجال لكثير من المبادرات في الإشراف الفعلي على واقع الأمة الإسلامية في جميع أبعاده ومجالاته، فضلا على أنها الحل الجدري لمعضلة العمق الإستراتيجي والدعم اللوجستي الذي تعاني منه الحركات الإسلامية.

سادسا - **الخاتمة:**

إن معالجتنا لمسألة احتلال العراق كان من منطلق عقدي وسياسي واستراتيجي، أي بمعنى من زاوية الأمة الإسلامية وليس من زاوية اتفاقية سايكس بيكو/القطرية المقيتة، حيث اعتبرنا احتلال العراق مؤامرة كبيرة على أمتنا[1]، وكذلك تحريره يجب أن تشارك كل أمتنا فيه، مما جعلنا لا نتوقف بشكل كبير على مفرداته، ليس تجاهلا منا بالدور الداخلي وتأثيره ولكن لأن القضية معقدة وتتداخل فيها مجموعة من الخيوط (أمريكا، آل صهيون، بريطانيا، إيران، تركيا، سوريا...)[2].

[1] - راجع للكاتب، الحرب على العراق والتآمر الدولي على الأمة، العدد 27، مجلة الأنصار.
[2] - راجع للكاتب، خيوط المؤامرة الأمريكية، العدد 23، مجلة الأنصار.

تأسيسا على ما سبق، حاولنا أن نبرز الدور المركزي الذي يجب أن تقوم به الحركة الإسلامية بصفتها فاعلا كبيرا في الساحة السياسية العالمية، ولاسيما في ظل الأوضاع الداخلية والخارجية التي تعيشها أمتنا الإسلامية، حيث الاحتلال المباشر/العدو الصهيوصليبي وغير المباشر/الأنظمة العميلة، وطرحنا في نفس الوقت وبشكل واضح مهام المرحلة، والذي يتجلى في توحيد كلمة الأمة عبر مشروع "إنشاء جبهة إسلامية عريضة"، مما يستوجب على الكل التحرك لنشر الفكرة/المشروع، وتحسيس الأمة بضرورة وحدتها، ودفع القيادات الحركية والفكرية والسياسية والإعلامية إلى التفاعل المسؤول والتفكير الجدي والمساهمة الفعالة في بلورته نظريا وعمليا وإنجاحه، حتى تقوم بدور الوازن والوسيط بين الحركات الإسلامية المخلصة التواقة إلى تحرير أمتها وإقامة الخلافة الإسلامية.

و لإنجاز مثل هذا المشروع الواعد، وتيسير سبل تحقيقه على أرض الواقع، تعرضنا إلى المعوقات الحقيقية التي تقف حائلا أمام تنفيذه.

وعليه، نؤكد مرة أخرى أنه لا يمكن التصدي للعدو الصهيوصليبي وملحقاته في بلادنا العربية والإسلامية، وكذلك لا مستقبل للحركات الإسلامية إن لم تسعَ من اليوم قبل الغد إلى بناء جبهة إسلامية عريضة كما قلنا، لأنها الخطوة العملية للانتقال من شعار الوحدة إلى البرنامج العملي، لأن الشعار لا يسد فراغ البرنامج، وأيضا المنهجية السليمة التي تعطي لجميع الحركات مهما كان حجمها وموقعها الفرصة للمساهمة بالقسط المطلوب وبأي أي شكل من الأشكال في قضايا أمتها.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ييسر لهذا المشروع أصحابه إنه سميع مجيب.♦

الحرب الصليبية على العراق

أبو سعد العاملي

1 - تمهيد

الحمد لله الذي لا يُحمد على مكروه سواه، يبتلينا بالشر والخير فتنة، لنتقرب إليه أكثر بالطاعات وبالتزام أوامره، والابتعاد عن المعاصي وترك نواهيه، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، الذي حذر أمته بتكالب الأعداء عليها كتداعي الأكلة على قصعتها، بسبب انتشار الوهن وتمكنه من نفوس أغلب العباد، فأنزل الله علينا الذل والصغار بتركنا للجهاد، وتمكن أعداؤنا من رقابنا وأرضنا، فصرنا أسهل فريسة وأقرب لقمة لأفواه الكفار الأصليين والمرتدين.

لقد استطاع أعداؤنا ترويض هذه الأمة - التي كانت أسداً مخيفاً - حتى صارت كالضبي الجفول، وكأن احتلال قلب الأمة الإسلامية - فلسطين المغتصبة - كان بمثابة مختبر تجريبي لعملية الترويض هاته، ذلك أن صور التقتيل والتشريد والتهجير التي يعيشها إخواننا في فلسطين على مدى السنين الماضية والأيام الجارية، أصبحت مشاهد عادية، ألفناها ولا نعير لها كبير اهتمام، فلم تندفع الأمة للدفاع عن قبلتها الأولى ومسرى نبيها الكريم، بل اكتفت بالتنديد تارة وبالبكاء والنحيب تارة أخرى، أو باللامبالاة في أغلب الأحيان. فتبع هذا الاحتلال، احتلالات أخرى للكثير من بلدان الإسلام، عسكرية واقتصادية وسياسية وثقافية، كلها هدفت وتهدف إلى طمس معالم هذه الأمة، والإبقاء عليها ضبياً جفولاً وبقرة حلوباً ومختبراً لتجربة كل اختراعات الأعداء، وقبل هذا وذاك إلى إبعادها وإخراجها من دينها {وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا}.

بالرغم من كل هذه الصور القاتمة والحصار الشديد، نهضت فصائل وجماعات الحق، فكانت بمثابة شموع في ظلام دامس، أنارت بعض الطريق، وأزالت بعض العقبات، ورفعت بعض الضيم والغم عن الأمة، لا زالت تعمل في صمت، لا يعلمها كثير من الناس، ابتعثها الله عز وجل

لإحياء فريضة الجهاد، والعودة بالأمة إلى دينها، ليُرفع عنها هذا الذل والصغار إن شاء الله.

لقد جاءت الحرب في وقت بدأت تدب في أوساط المسلمين عامة وفي هذه المنطقة خاصة، بذور الجهاد والاستشهاد، وبداية انطلاق جماعات الحق لتحرير الشعوب المسلمة من براثن الاحتلال الصليبي بمساعدة الأنظمة المرتدة. ولقد خشي العدو الصليبي على مصالحه وخاف أن تنفلت زمام الأمور من أيدي هذه الأنظمة المهترئة، فسارع إلى إعلان هذه الحرب، بعدما تيقن أن هناك طوابير من الخونة وأصحاب المصالح الشخصية الذين لن يستطيعوا الصمود طويلاً أمام الآلة الحربية للعدو، وبعدما أدركوا أن الشعب المسكين منهك بآثار الحصار الطويل وحرمان النظام المرتد له من كل أنواع الإعداد المادي والروحي للدخول في مثل هذه المواجهات.

أما السبب الآخر الذي عجل بالعدو للدخول في العراق فهو انتكاسته الكبيرة في حربه على أفغانستان المجاهدة، حيث تكسرت آلته العسكرية والاستراتيجية على أرض أفغانستان، تحت ضربات المجاهدين (بقيادة طالبان وتنظيم قاعدة الجهاد)، فكان لابد من البحث عن منفذ آخر يحافظ فيه الأمريكان وحلفاؤهم على ماء الوجه، ويعيدوا الاعتبار لمؤسساتهم العسكرية والسياسية على حد سواء.

3 - احتلال أفغانستان واحتلال العراق: قياس مع الفارق

هناك فوارق عديدة بين البلدين، ولكن القاسم المشترك بينهما هو القيمة التاريخية لكل واحد منهما في جسد الأمة الإسلامية، فأفغانستان تعتبر قلعة صامدة للجهاد على مر التاريخ، وقبلة للمجاهدين في العصر الحاضر، أذاقت الأعداء الأمرين وتحولت إلى مصدر إشعاع للجهاد والمقاومة، احتضنت الكثير من الجماعات الجهادية المعاصرة وجعلت من أرضها ميادين للإعداد والتربية، قذفت في قلوب الأعداء الرعب، وخافوا على عروشهم وعروش أوليائهم من الزوال، فبادروا إلى إعلان حرب لا هوادة فيها على الإمارة الإسلامية، أدت إلى تنحي طالبان عن

الحكم وإخلاء المباني الرسمية إلى حين، إبقاء على أرواح المسلمين واستدراجاً للعدو إلى المدن، لفتح حرب عصابات لن تتوقف إلا باندحاره بحول الله تعالى. وقد أظهرت الأيام الماضية صدق هذه الفرضية، حيث رأينا إثخاناً وتقتيلاً في صفوف العدو من قبل مجاهدينا الأشاوس، والحرب لا زالت في بدايتها.

- إنها حرب شاملة تهتم بكل الجوانب، يسعى من خلالها الأعداء إلى امتلاك زمام الأمور في كل الميادين السياسية والاقتصادية والثقافية، كما أن شموليتها تتجلى أيضاً في استهداف كل الشرائح البشرية في أمتنا ومحاولة طمس هوياتنا وتراثنا، فنصبح تائهين نركض وراء فتاته ونطمع في رضاه.
- إنها حرب شرسة، بحيث أن الأعداء لا يتورعون عن استعمال كل أنواع الأسلحة الفتاكة، التي يحرمها الشرع والعقل والمنطق، وهذا دليل على حقده الدفين وفساد سريرته.
- إنها حرب متواصلة {وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ}، لا يملون ولا يتوقفون عن حربنا، وهذا دليل على قوة الدفع التي تكمن وراء هذه الإرادة القوية والهمة العالية، ولن يكون سوى الجانب الاعتقادي المحض.
- إنها حرب دينية صليبية {حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا}، ولكن الكثير من أبناء أمتنا لم يفطنوا بعد لهذا الجانب الخطير، ويعتقدون بأنها حرب اقتصادية أو سياسية في أقصى تقدير.

6 - دور الأمة اتجاه هذا الاحتلال

تجسيد قول الله تعالى في صفات المؤمنين {وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاق}[الأنفال 72]، وهو نداء عام للنفير في كل اتجاه، لتخليص المسلمين من الأعداء والدفاع عن بيضة الإسلام في كل مكان. ولايحتاج هذا الأمر إلى تفكير عميق أو إلى فتاوى خاصة أو شروط معجزة، سوى القدرة، وما منا من أحد إلا ويقدر أن يقوم بهذا الواجب في حدود استطاعته، ومن خلال موقعه، فكل ميسّر لما خُلق له. وهناك أبواب عديدة وطرق مختلفة للمساهمة في هذه النصرة منها على سبيل المثال لا الحصر:

تحسيس الأمة بخطورة هذا الاحتلال على مستقبلها القريب والبعيد

كل واحد منا قادر على لعب هذا الدور الكبير الذي نستهين به ونستصغره، وهو في حقيقة الأمر هين وفي متناول الجميع. ولا يمكن أن نسمح بتكرار ما حصل في فلسطين، حيث تناسى المسلمون حقيقة هذا الاحتلال ولم يعيروا له الاهتمام اللازم حتى ألفوه، وألفوا صور البطش والتقتيل اليومية، وصارت لا تحرك فينا ساكناً إلا من رحم الله. فصغرت ساحة الصراع بيننا وبين اليهود، حيث انتقلت من حرب بين المسلمين عامة وبين اليهود إلى حرب بين العرب واليهود ثم بين الفلسطينيين واليهود ثم أخيراً وليس آخراً بين التنظيمات "الإرهابية" الفلسطينية[1] وبين الكيان الصهيوني.

كما أن هذا الاحتلال يعتبر نقطة بداية بمشروع احتلالي كبير، سينتهي حتماً بإعادة رسم خريطة جيوسياسية جديدة في بلداننا، قائمة أساساً على إبعاد الدين من مواقع القرار ومحاربة كل الفعاليات الإسلامية المخلصة وعلى رأسها التنظيمات الجهادية السنية التي تعتبر رأس الرمح لنهضتنا الإسلامية، ولمشروع الجهاد المبارك.

المطلوب منا أفراداً وجماعات أن نلعب دوراً مضاداً للمؤسسات الإعلامية والثقافية الصليبي- صهيونية في بلداننا، التي تهدف إلى طمس الهوية الإسلامية وإبعاد الإنسان المسلم عن منابع دينه والقذف به في مهاوي الجاهلية، وأهم من هذا وأخطر، تهدف إلى تدمير عقيدة الولاء والبراء حتى يتساوى الجميع في نظرنا، فنقبل بالتغيير السياسي حتى وإن كان على أيدي الذين كفروا من اليهود والنصارى، بعدما نجحوا في إقناعنا بقبول هذه الأنظمة المرتدة عقوداً من الزمن.

[1] - والمقصود هو الحركات الإسلامية داخل فلسطين وعلى رأسها حماس والجهاد.

يريدون منا أن نقبلهم أسياداً علينا في عقر ديارنا بعدما كانوا يكتفون بتسيير أمورنا من عقر ديارهم، فنصبح عبيداً وخدماً لهم في مقابل توفير لقمة خبز ملوثة وبيع ما تبقى من ديننا وأعراضنا.

إن سكوت الأمة عن هذا الاحتلال الصليبي لعاصمة الخلافة، من شأنه أن يفتح شهية الأعداء لمواصلة رحلة الاحتلال المباشر لبقية أراضي المسلمين، تحت عدة مسميات كالتي سماها أخيراً بعملية تحرير الشعب العراقي من النظام البعثي. وكلنا يعلم أن كل نظام من أنظمتنا شر من الآخر، وأظلم من الآخر، فهل يكون ذلك مبرراً مقبولاً لقبول احتلال الصليبيين مقابل رفع احتلال المرتدين؟!

ليس هناك عاقل واحد في الأمة، يمكن أن يقبل بهذا، ناهيك عن الذين يدّعون أنهم ينتمون إلى خير أمة أخرجت للناس.

الذي نريده من أبناء الأمة هو إذكاء شعور العزة والأنفة وإحيائه في النفوس من جديد، ورفض العدو وبغضه واعتباره مصدراً للذل والمهانة مهما حاول أن يظهر بمظهر الصديق أو الناصح الأمين. فليس هناك ثقة في الأعداء، ولن يتغير شعورهم بالعداء والبغض لنا ما دمنا متمسكين بديننا {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا} [البقرة]، وهل هناك غيرهم في الصفوف الأولى للعدو الصائل لبلداننا اليوم؟

إحياء روحية العمل الجماعي وروح الجهاد

لم يتمكن العدو بشقيه - الكفار الأصليين والمرتدين - من السيطرة على أراضينا وخيراتنا إلا بعدما نجح في تشتيت شملنا وإبعادنا عن كل أشكال العمل الجماعي المنظم، الذي يدفعنا إلى الوعي والبصيرة وإلى السعي الجاد والمسؤول اتجاه تغيير أمورنا نحو الأفضل وتحرير أنفسنا وذرارينا وأراضينا من كل اعتداء خارجي.

لقد تمكن العدو الخارجي - عن طريق العدو الداخلي المتمثل في هذه الأنظمة المرتدة - من إحكام السيطرة على الشعوب عبر ما يسمى بوزارات الداخلية وأجهزة الأمن الداخلية، فساروا يعدّون أنفاس العباد ويرقبون تحركاتهم ويمنعونهم من التجمعات العامة والخاصة، وأدخلوا ذلك في قائمة الممنوعات القانونية، حتى أصبح الناس يعيشون فرادى وانعدمت الثقة بينهم، وأصبح الدعاة المخلصون وأصحاب الهمم العالية منبوذين من قبل العام والخاص ولا يسمع لقولهم أحد فضلاً عن اتباعهم

وبيعتهم على نصرة دين الله تعالى وتغيير المنكرات المستشرية في المجتمعات.

وفي الطرف المناقض، ساهمت هذه الأنظمة المرتدة - بوحي من الأعداء الخارجيين - في نشر البدع وتكوين الفرق الضالة المضلة، وتمويل الأحزاب والتجمعات العلمانية الفاسدة، ومهّدت لها كل الطرق وأمدّتها بكل الوسائل للانتشار في المجتمعات من أجل هدمها وتخريبها.

إن الوقت يحتِّم علينا العمل في الاتجاه المعاكس لهذا المشروع الخطير، ومحاولة النهوض من أجل ترسيخ مبدأ العمل الجماعي المنظم، وفق الموازين الشرعية الداعية إلى الدفاع عن الحق ونشره بين الناس، ومحاربة الباطل وإزالته من المجتمعات، ولن يتحقق هذا بغير نشر روحية الجهاد في الأمة، وعدم الاكتفاء بالعمل الدعوي السلمي الوديع. فالأعداء لا يخشون شيئاً غير الجهاد، ولقد بلغ بهم الرعب والهيبة من هذه الفريضة مبلغاً وصل إلى عدم استطاعة تسميته باسمه، ففضلوا اختيار "الإرهاب" بدل الجهاد، وهو دليل على شدة خوفهم وهلعهم.

لقد جربنا كل الوسائل وسلكنا كل الطرق لمحاولة تغيير ما بنا من نقص ومن ضعف، وما بأمتنا من فساد عريض وفتن كبرى، فلم نفلح في تحقيق المبتغى، بل إن أمورنا تأزمت أكثر، وتمكن الأعداء من مواصلة عملية الفساد، وهاهي النتيجة أمام أعيننا، تتمثل في عودة الاحتلال المباشر إلى بلداننا، بل إلى عاصمة خلافة الأمس القريب ورمز أمتنا. فماذا نفعتنا كثرة التجمعات والجماعات السياسية أو الاجتماعية أو الثقافية؟ ماذا فعلت تلك الشعارات البراقة والجموع الغفيرة في قاعات المحاضرات أو المؤتمرات؟ ماذا نفعت تلك الجموع بدون تنظيم محكم مبني على بيعة الموت؟

إن التنظيم أو التجمع القائم على أسس غير أساس الجهاد، وبيعة غير بيعة الموت، لهو تجمع فاشل منذ البداية، ولن يخيف الأعداء قليلاً ولا كثيراً، بل إن هؤلاء الأعداء يتخذونه وسيلة ودرعاً لتلقي ضربات التجمعات الجهادية.

لقد حانت ساعة الحقيقة، ولم يبق لدينا ما نخفيه، ولا أظن أنه من مصلحة أحد إخفاء هذه الحقائق. لقد بلغنا مبلغاً لا يمكن أن نسكت ونغض الطرف عن أسباب ضعفنا، وعن كشف المثبطات والمكبلات في مسيرة تغييرنا. إننا محاسبون على كل هذا وغيره، ومن الخير لنا جميعاً أن نكشف هذه الأوراق، وفي هذا الوقت بالذات، لتتبدى الحقائق ناصعة للجميع.

لم يعد ينفعنا سوى سبيل الجهاد والاستشهاد، وقد حان الوقت لتعديل الوسائل والمناهج داخل التجمعات الإسلامية، وتبني خط الدعوة والجهاد في مناهج الحركة والعمل الإسلامي، لتتحول هذه الجماعات إلى تجمعات ترهب الأعداء عسى الله أن يكف بأسهم عن المسلمين، قال تعالى: {فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا} (النساء: 84).

يجدر بنا أن نقف وقفات مطولة اعتبارية لما حصل في العراق، حيث غياب تلك النوعية من التجمعات الجهادية المحلية وغياب روحية الجهاد والاستشهاد لدى أغلب الشعب، بالإضافة إلى عوامل أخرى استراتيجية[1]، مما سهل على العدو طريق الاحتلال. وهذه الصورة يمكن أن تعود وتتكرر في كل بلد من بلداننا بسبب غياب سياج الأمة المتين ألا وهو الجهاد.

إن ما حدث في العراق، ينبغي أن يمدّنا بالكثير من الدروس والعبر، فرُبَّ ضارة نافعة، ومن أصدق من الله حديثاً {وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ}، لعل هذه الضربة - بالرغم من وحشيتها وأضرارها المادية الجسيمة على أبناء الشعب العراقي- سوف تنمّي في الأمة سمات المقاومة وتحثها على استجماع أسباب القوة لتتفادى الضربات القادمة في المواقع الأخرى، فالحرب مفتوحة على كل الجبهات، فلئن خسرت الأمة معركة في جبهة، فإن هذا لا يعني أنها خسرت الحرب، بل قد تكون مقدمة لعملية نهوض حقيقية، شعارها الجهاد والاستشهاد.

السعي إلى التعاون وتنسيق الجهود الجهادية

إن أخوف ما يخاف منه الأعداء، هو وحدة كلمة المسلمين بعامة، وجهود المجاهدين بخاصة، ومن أجل هذا تراهم يعقدون المؤتمرات تلو المؤتمرات ويجندون أنظمة وجنوداً مجندة غيرها لزرع الفرقة والشقاق بين المسلمين، بالإضافة إلى رسم الحدود وبناء السدود لمنع كل تنسيق بين شتى الفصائل العاملة في بلداننا.

كما أن أعداءنا يسعون إلى حصر الصراع بيننا وبينهم وتقزيمه، واعتباره صراعاً بين الدولة المعنية وبينهم، لكي لا تتدخل الشعوب المسلمة الأخرى فتكون طرفاً في هذا الصراع، وهذا يؤدي في النهاية إلى القضاء على مبدأ النصرة والأممية التي يحث عليها ديننا الحنيف،

[1] - انظر مقال أخينا " أبو عبيد القرشي". لماذا سقطت بغداد؟ - مجلة الأنصار - العدد 29، وكذلك مقاله في هذا الكتاب.

ليتم في مقابله ترسيخ مبدأ القومية والوطنية التي تحث عليها القوانين الوضعية الكفرية.

يبرز الصراع في فلسطين كأكبر مثال على هذا، حيث تحول إلى صراع بين من أطلقوا عليهم "المتطرفين الفلسطينيين" (وهم المجاهدون) وبين الكيان الصهيوني، بدلاً من أن يكون ويبقى صراعاً بين المسلمين كافة وبين اليهود كافة.

ثم يأتي مثال أفغانستان المسلمة، حيث يحاول الأعداء تسمية الأنصار بالأجانب، لإسقاط مبدأ النصرة والأخوة الدينية، ومحاولة حصر هذا الصراع بين الصليبيين والمجاهدين الأفغان. وتأتي الأمثلة الأخرى تتراً في بلاد القوقاز وقبلها في بلاد البلقان وكشمير وغيرها من البلدان التي انطلقت فيها شرارة الجهاد.

إن الاجتماع والوحدة هو الأصل في ديننا، سواء على مستوى الأفراد أو الجماعات، والنصوص الدالة على هذا كثيرة ومستفيضة - ليس هذا مقام ذكرها -، ويصبح هذا أوجب في الظروف التي تعيشها أمتنا اليوم.

من منا يقرأ قوله تعالى {وَلاَتَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ} فيرضى بما نحن عليه من تشتت وتشرذم بل وتطاحن؟. إن التنازع والتفرق يؤدي في حالات الرخاء والقوة والمنعة إلى الهزيمة وذهاب الريح، فكيف ونحن ضعفاء نخاف أن يتخطفنا الأعداء من كل جانب؟!

أليست الوحدة أوجب؟ أم إننا نريد أن نستمر في معصية الله تعالى في هذا الأمر حتى يستبدل بنا غيرنا؟

ألا نرى إصرار الأعداء على حصار كل جماعة جهادية، والانفراد بها على حدة، لكي يسهل عليهم احتواءها أو القضاء عليها؟ ألم يحدث هذا في أفغانستان، حيث أغلقوا الحدود وطردوا الأنصار أو اعتقلوهم لكي يبقى المجاهدون الأفغان وحدهم في مواجهة الجيوش الصليبية؟

ألم يحدث هذا في فلسطين، حيث منعوا كل تسرب للمجاهدين عبر لبنان أو الأردن أو مصر لكي يبقى المجاهدون في الداخل يواجهون وحدهم الآلة العسكرية اليهودية المدعومة بقوى الصليب؟ ألا نرى ما يحصل في الجزائر من تعتيم إعلامي رهيب، ومحاولة عزل المجاهدين هناك حتى على المستوى الإعلامي، ليخمدوا جذوة الجهاد المتوقدة؟

كل هذا يحصل على مرأى ومسمع من كل الحركات الإسلامية في بلداننا، ثم لا نجد فيهم من يدرك خطورة هذا الوضع، وكأنه في معزل من هذا، وتبقى أمورنا على ما هي عليه من التشتت والتشرذم والعمل الأحادي الجانب.

إن الأعداء يقاتلوننا كافة، ولا يفرقون بين جماعة وأخرى، وعلينا أن نقاتلهم كافة {وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّة}، ولا يمكن أن يتم هذا إلا بالتنسيق والتعاون فيما بين مختلف الجماعات العاملة.

إن ما حدث في العراق - وقبله في أفغانستان - ينبغي أن يدفعنا إلى مراجعة أوراقنا وحساباتنا الضيقة، فنوسع على أنفسنا مجال العمل والحركة، ونعتبر أن هذا الدين ملك للجميع، يغترف منه كل واحد حسب طاقته وطلبه، وأن نتذكر حديث السفينة المشهور، فنحافظ على كل ثغرة من ثغورها حتى لا نؤتى من قبلها، فنَغرَق ونُغرق من معنا.

إن الأعداء يدركون جيداً أن نقطة القوة لدينا تكمن في تجمعنا ووحدة كلمتنا، فتراه يلصق تهمة الإرهاب والعلاقة بتنظيم قاعدة الجهاد بكل جماعة مجاهدة، خشية حصول تنسيق بين مختلف الجماعات، فترى بعض الجماعات تتملص وتحاول دفع هذه التهمة عن نفسها، فتنعزل وتقطع كل علاقة لها ببقية الجماعات الجهادية الأخرى وعلى رأسها تنظيم قاعدة الجهاد.

لقد أدركت جل الجماعات المخلصة هذا المخطط الشيطاني واستوعبت الدرس من احتلال العراق، ففهمت أن التشتت وعدم التنسيق بين الفصائل العاملة في الساحة يعتبر من أهم أسباب الهزيمة حاضراً ومستقبلاً.

الاستفادة من التجربة الأفغانية

لقد ذكرتُ العلاقة الجدلية بين ما حصل في أفغانستان والعراق، وذكرت النقاط المشتركة بين الاحتلالين، كما ذكرت بأن احتلال العراق جاء كنتيجة مباشرة لما حصل من قلب للموازين الصليبية وخلط لأوراقه العسكرية والسياسية في أفغانستان، وبالتالي فقد نجح المجاهدون هناك بضبط النفس وادخار جهودهم للدخول في حرب طويلة الأمد، ثابتة الخطى، مستنزفة لقوى الأعداء ومقيمة لأسس إسلامية راشدة متينة.

إن الحرب في أفغانستان تدور كما سطرها المجاهدون بتوفيق من الله تعالى، حيث رأينا انسحابهم من المدن وتركهم لمؤسسات السلطة الظاهرة - حفاظاً على أرواح المسلمين من القصف الصليبي الغبي - واستدراجاً لهذا العدو للدخول في المدن، لتبدأ الحرب البرية التي ستُشيِّب هؤلاء الصليبيين وتُذهب عقولهم. ولا ينبغي أن ينتابنا أدنى شك في أن الحرب القائمة في أفغانستان - طالت أم قصرت - ستكون

مناسبة ومجالاً خصباً لممارسة عبادة الجهاد، وتأصيله وترسيخه في نفوس الأمة، وسوف تُفتح جبهات ومعسكرات تدريب جديدة وعديدة في هذا البلد وغيره من بلدان المسلمين، وعندها سيندم العدو وسيعض على يديه ورجليه بسبب هذه الورطة التي لا يعرف كيف سيتخلص منها، كيف لا وقد جمع على نفسه هذه العصابات المجاهدة، المتعطشة إلى تخليص الأمة من براثن الاحتلال عبر جهاد متواصل لا يتوقف إلا بالنصر أو الاستشهاد.

هناك نقاط قوة وبرامج عمل كثيرة يمكننا استخلاصها من تجربة المجاهدين في أفغانستان، أهمها:

- اعتماد اللامركزية

في الظروف الحالية التي تعيشها أمتنا، وتحت الحصار المحكم المضروب عليها من قبل الأعداء سواء في الداخل أو الخارج، تكون التعددية - المنطلقة من وحدة المسار والمنضبطة بوحدة الاستراتيجية - نقطة قوة بدل أن تكون نقطة ضعف، خاصة عندما يصاحبها التنسيق الجيدة والتعاون الجاد، ذلك أن العدو لا يمكنه تتبع الكثير من الجماعات على امتداد العالم في وقت واحد. وحتى إن حاول فأن هذا سوف يشتت جهوده وقوته ويفقدها الفعالية وربما الفاعلية أصلاً. كما أن اللامركزية في العمل الجهادي من شأنها أن تحافظ على استمرارية العمل الجهادي، حيث بها يمكن الاحتفاظ بجيوب الجهاد في بلد في حال تعرضت بعض الجماعات في بلد آخر للتدمير أو التفكيك حفظ الله الجميع.

- إطالة أمد الحرب

لابد أن نتذكر أن أعداءنا بشر، وبالتالي فإن قواهم الجسدية وعتادهم المادي محدود، ومن طبيعة البشر أنه كلما طال عليه الأمد في وضع ثابت، فإنه سرعان ما يعتريه الملل والتعب والضعف في آخر المطاف. من هنا ينبغي التعامل مع أعدائنا من هذه الزاوية، فنطيل أمد المواجهة معهم، ونحاول قدر المستطاع الاحتفاظ بالزاد الروحي والمادي الكافي لحرب طويلة الأمد، خاصة وأننا نحارب في عقر ديارنا، وهي نقطة قوة نتفوق بها على الأعداء.

إن طول أمد الحرب يُفقد العدو أعصابه، ويدفعه إلى الارتباك وفقـدان السيطرة على زمام الأمور في سـاحات القتـال، لأنـه جـاء إلـى أراضـينا لتنفيذ مهمة محدودة في المكان والزمان، ولكن حينما يفـاجئ بمقاومـة شرسة من قبل المجاهدين، فـإنه سـرعان مـا يعـتريه الخـوف والجـزع، ومن ثم يبدأ في التفكير بإنهاء مهمته في أسرع الآجال وبأقل المكاسـب الممكنة. أما المجاهدون، فإنهم يجاهدون لأهداف وغايات عليا وسـامية، كلما طال عليهم أمد الحرب،كلمـا كـان أجرهـم أعظ م عند اللـه وكلمـا كسبوا تجربة أكبر في ساحات الجهاد.

- اعتماد حرب العصابات كاستراتيجية للمقاومة

وهـي مـن نقـاط القـوة لـدى المجاهـدين، فحـرب الجيـوش المتقابلـة متجاوزة، وحلَّ محلها حـرب العصـابات الخاطفـة، الـتي تحـدث أضـراراً كبيرة في العدو، وأقل الخسائر في صفوف المجاهدين، هـذا فضـلاً عـن ملاءمتها لسـاحة المعركـة، خاصـة إذا علمنـا أنهـا سـتدور داخـل المـدن والقرى[1].

والمجاهدون في العراق مطالبون باقتفاء أثر إخوانهم فـي أفغانسـتان أو الشيشان أو الجزائر أو غيرها من مواقـع الجهـاد، لكـي يـذيقوا العـدو الصليبي ما ذاقوه فـي أفغانسـتان، ولـن يطـول – حينئـذ - بقـاؤهم فـي العراق، كما رأيناهم يعدّون العدة للرحيل عن أفغانستان إن شاء الله.

- الاجتهاد في تأمين العمل

وهي نقطة قوة أخرى يمتلكها المجاهدون، فبفضـل إجـراءات التـأمين يمكنهم الحفاظ على أسرار الحرب ومباغتة العدو في أي وقت يشاءون، كما أنها تمكِّنهم مـن الحفـاظ علـى بنيـاتهم التحتيـة وجنـودهم الأخفيـاء. فالعدو لا يمكن أن يخفي كل قواته، لأنه يتواجد فـي موقـع المـدافع عـن مؤسسـاته ومصـالحه الماديـة الكـثيرة، وكـذلك بسـبب كـثرة جنـوده وعملائـه، فـالكثير مـن أسـراره دومـاً معرضـة للكشـف، وظهـره دومـاً معرض للضرب. الشيء الذي لا يتواجد في صـفوف الحركـات الجهاديـة إن هي أصبغت أعمالها بالتأمين المطلوب.

[1] - هذا ما يحصل في كل البلدان التي انطلقت فيها شرارة الجهاد ضد المحتلين الصليبيين أو اليهود أو المرتدين.

- توسيع دائرة الحرب وتنويع الضربات

وقد برع تنظيم قاعدة الجهاد في تنفيذ هذه السياسة، حيث رأينا كيف استطاع مجاهدو القاعدة أن يصلوا إلى عقر دار العدو، وأن يسجلوا هناك غزوتين عظيمتين لن تنمحي من تاريخ أمتنا أبداً، واللتان ستظلان مصدر خوف وهلع للعدو الصليبي على مدى الأيام والسنين المتبقية من عمره. ولن ننسى تلك الضربات الأخرى التي تلقاها العدو في بقاع مختلفة من المعمورة، كلها توحي بعبقرية فذة في التخطيط والمنهجية العسكرية، وتضع العدو في مأزق حقيقي لا يمكن أن يواجه هذه الضربات ولا أن يتقيها أبداً، فهو مطالب بتشتيت قواته وعملائه، والتواجد في كل شبر من هذه الأرض، وهو أمر مستحيل الحدوث، وبالتالي سيؤدي إلى توزيع قواته والذي سيؤدي بالضرورة إلى ضعفه وهزيمته.

ها هو الدور المطلوب من كل الجماعات الجهادية، المتواجدة في كل مكان، أن توسع دائرة الصراع بيننا وبين الأعداء، وأن تدرك جيداً بأن العدو مهما امتلك من أسباب القوة فإنه سيبقى محدوداً وضعيفاً.
هذه بعض رؤوس الأقلام حول الدور المطلوب من الأمة بعامة ومن الجماعات الجهادية بخاصة، في مواجهة هذه الحلقة الجديدة من الحرب الصليبية المعلنة على الأمة.

حرب لا نملك اتجاهها سوى الإعداد الجيد الذي يتناسب مع معطيات المرحلة، والصمود الذي يرقى إلى مستوى التحديات الموجودة، ولا ينبغي أن تفلت هذه الفرصة التاريخية من أيدينا لنعيد لأمتنا مجدها وتاريخها المشرق ولديننا عزته ونصاعته وقوته، ونضمن لأنفسنا ذلك المقام الكريم في أعلى عليين عند مليك مقتدر. والحمد لله رب العالمين. ♦